

# فأهم مفاتيح القلوب

تأليف  
أبي حمزة محمد بن فضال بن حمزة وأبي اسحق سري



دار الأمان  
الإسكندرية

دار القصة  
الإسكندرية

فألفه  
مفاتيح القلوب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. **أَمَّا بَعْدُ**، فهذا كتاب «**فاهم**»، أودعتُ فيه ما يحتاجُ إليه المرءُ المسلمُ في حياته مِنْ أَسْلُوبِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.

عُمِدَتِي فِي ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، ثُمَّ أَقْوَالُ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَسْلُكَ بِكِتَابِي هَذَا - أَوْ غَيْرِهِ - سُلُوكَ بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي تُكْتَبُ بِأَقْلَامِ مُعَاَصِرِهِ، وَتُصَدَّرُ صَفْحَاتُهَا بِأَقْوَالِ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ: كَهَيْتَلَرٍ، وَنَابَلْيُونٍ، وَكَارَنَجِي، وَمَنْ شَايَعَهُمْ، فَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَإِنِّي - إِذَا - لِمِنَ الْجَاهِلِينَ. وَكَيْفَ يُورِدُ مُرَضٌّ عَلَى مُصَحِّ؟!.

وَمَا تَسْلَمُ الْجَرْبَا بِقُرْبِ سَلِيمَةٍ إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ السَّلِيمَةَ تَجْرَبُ  
إِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، فَعِنْدَنَا مَا هُوَ أَجْمَلُ وَأَعْظَمُ بَرَكَةً؛ لِأَنَّهُ صَادِرٌ مِنْ قُلُوبِ عَامِرَةٍ  
بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

فَلَا يَغُرَّنَكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُتَزَجًّا

فَالنَّاقِلُ عَنْ هَؤُلَاءِ التَّنَى الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَنَّهُمْ:  
 بِرُّ شُرِّ الْبَرِيَّةِ كَمَا (البينة: ٦).

يَزُمُّهُ النَّاسُ بَازِدِرَاءٍ، وَتَذَهَبُ ثِقَتُهُمْ بِهِ، وَ«عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرِاقِشُ<sup>(١)</sup>»، وَ«لَا يَجْنِي  
 جَانٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ».

تُزَهِّدُنِي فِي وُدِّكَ - ابْنُ مُسَافِعٍ - مَوَدَّتِكَ الْأَرْدَالَ دُونَ ذَوِي الْفَضْلِ

وَالْمُتَصَفِّحُ لِهَذَا الْكِتَابِ سَيَرَى فِيهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - مَا يَشْفِي الْعِلَّةَ، وَيَرْوِي الْعُلَّةَ<sup>(٢)</sup>.

هَذَا كِتَابٌ بَدِيعٌ فِي مَحَاسِنِهِ      ضَمَّتُهُ كُلَّ شَيْءٍ خِلْتُهُ حَسَنًا  
 فَكُلُّ مَا فِيهِ إِنْ مَرَّ اللَّيْبُ بِهِ      وَلَمْ يَشُمَّ عَبِيرًا شَامَ مِنْهُ سَنَا  
 فَخُذْهُ وَاشْدُدْ بِهِ كَفَّ الضَّنِينِ وَذُدُّ      حَتَّى تُحَصِّلَهُ عَنْ جَفْنِكَ الْوَسْنَا



(١) بَرِاقِشُ: اسْمُ كَلْبَةٍ نَبَحَتْ عَلَى جَيْشِ مَرُوءٍ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِالْحَيِّ الَّذِي فِيهِ الْكَلْبَةُ، فَلَمَّا سَمِعُوا نُبَاحَهَا،  
 عَلِمُوا أَنَّ أَهْلَهَا هُنَاكَ، فَعَطَفُوا عَلَيْهِمْ فَاسْتَبَاحُوهُمْ، فَذَهَبَتْ مَثَلًا. «اللِّسَان» (١ / ٣٨٥)  
 (٢) الْعُلَّةُ - بِالضَّمِّ - : شِدَّةُ الْعَطَشِ وَحَرَارَتُهُ.

## تَصْدِير

«وَالْمِسْكُ مَا قَدَّ شَفَّ عَنْهُ ذَاتُهُ لَمَا غَدَا يَنْعَتُهُ بِائِعُهُ».

«إعراب القرآن» للدرويش (٢١/١)



## التجرد في معاملة الخلق

إن معاملة الناس بالحسنى  
والى الحسنى يجب أن تسبقها  
نية خالصة، لا تشوبها  
شائبة من رياء، وما كان لله  
دام، وما كان لغيره انقطع.

فألهم

إذا سلّمت على أخيك، أو تسمّيت في وجهه، أو ألقيت على مسامعه كلمة طيبة - فقدّم بين يدي ذلك نية خالصة، وإن كنت إنما تريد بمعاملتك إقامة جاهك، ولتحمّد عند الخلق سيرتك - فلك ما نويت، فلن تحصد بذلك إلا الندامة، حيث لا ينفعك الندم.

وأول سقوطك أن ينقلب عليك من كنت تودّه، أو لم تسمع إلى قول مولاك:  
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧).

ومن ذرر العلامة ابن الجوزي - رحمه الله - قوله: «صارَتْ أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه، لا جرم»<sup>(١)</sup> - والله - سقطتم من عين الحق، فأسقطكم من عين الخلق. فكم ممن يتعب في تربية ناموس، ولا يلتفت إليه، ولا يحظى بمراده، ويفوته المراد الأكبر. فالتفتوا - إخواني - إلى إصلاح النيات، وترك التزيين للخلق، ولتكن عمدتكم الاستقامة مع الحق، فبذلك صعد السلف وسعدوا، وإياكم وما الناس عليه اليوم؛ فإنه بالإضافة إلى يقظة السلف نوم»<sup>(٢)</sup>.

(١) لا جرم أي: حقا.

(٢) «صيد الخاطر» (ص ١٩٧-١٩٨).

مزجان

«أَخْلِصْ فِي وُدِّكَ، تَخْلِصْ لَكَ الْمَوَدَّةَ».





## بداية الانطلاق

إن ثم حكمة يزددها  
اثمة السلف فيما يننهم،  
ويختب بها إلى بغضهم البغض،  
ماضخ ما بينك وبين الله،  
يصلخ ما بينك وبين الناس.»  
حكمة عظيمة تحتاج منا إلى وقفة!



تلك - والله - حكمة تبطن حكم بالغة، فقلوب العباد بين أصبع الرحمن،  
يقلبها كيف يشاء، فمن أصلح حاله مع الله، أحبه الله، وإذا أحبه الله إلى عباده، وجعل  
له في قلوبهم مقرًا ولا بد، يشهد لذلك الكتاب والسنة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ  
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (مريم: ٩٦). أي: محبة وودادًا في قلوب عباده وأهل سمواته وأرضه؛  
لأنهم وُدوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبائه.

وفي «الصحيحين»<sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - : «إن الله إذا أحب عبدًا، نادى جبريل: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل،  
ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول  
في الأرض»

ولله در الفضيل بن عياض - رضي الله عنه - حين قال:  
«إنما يهابك الخلق على قدر هيبتك لله»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/٣٦١).



## رَسُولُ الْمَحَبَّةِ

إِنَّ السَّلَامَ رَسُولُ الْمَحَبَّةِ،  
وَنَسِيمَ الْمَوَدَّةِ، وَغَبِيرَ الْأَخُوَّةِ،  
وَأَرِيحَ الْمَتَحَابِّينَ.



السَّلَامُ طَرِيقُكَ إِلَى قُلُوبِ إِخْوَانِكَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَاحْرِصْ عَلَى إِفْشَائِهِ تَنْلُ صَفْوَةَ الْمَحَبَّةِ  
وَالْمَوَدَّةِ.

قال رسول الله - ﷺ - : «أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ؟ أَفْشَوْا السَّلَامَ  
بَيْنَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَلَا يَضُرُّكَ إِنْ كَانَ الْمُسْلِمُ عَلَيْهِ لَا يُبَالِي بِسَلَامِكَ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ، أَلَا يُرْضِيكَ أَنْ  
تَرُدَّ عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ، إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ؟!.

قال رسول الله - ﷺ - : «السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ؛ فَأَفْشُوهُ  
بَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، كَانَ لَهُ فَضْلٌ دَرَجَةٍ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ  
السَّلَامَ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ»<sup>(٢)</sup>.

أَفْشِ السَّلَامَ عَلَى الْجَمِيعِ عَلَى عَدُوِّكَ وَالصَّادِقِ  
لِيَفُوحَ أُنْسَامُ السَّلَامِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنَ الطَّرِيقِ<sup>(٣)</sup>

وَكَمَا يَكُونُ السَّلَامُ عِنْدَ اللَّقَاءِ، يَكُونُ عِنْدَ الْفِرَاقِ.

(١) رواه مسلم (٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

(٢) (صحيح) أخرجه البزار (١٩٩٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٩٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -  
، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (٣٦٩٧)، و«الصَّحِيحَةُ» (١٨٩٤).

(٣) ديوان «بلسم الحياة» لأستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله - مخطوط.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَلْيَسِّتِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.  
وَيَكُونُ - أَيْضًا - بظَهْرِ الْغَيْبِ: كَأَنْ تُرْسِلَ لِأَخِيكَ بِرَسُولٍ يَعْرِفُهُ؛ لِيَحْمَلَ إِلَيْهِ سَلَامَكَ، أَوْ تَبْعَثَ لَهُ بِالسَّلَامِ عَبْرَ رِسَالَةٍ، أَوْ تَتَّصَلَ بِهِ هَاتِفِيًّا لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَيَتَخَلَّلُ ذَلِكَ السُّؤَالُ عَنْ حَالِهِ، وَحَالِ مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، مَعَ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْعَى لِبَقَاءِ الْمَوَدَّةِ، وَتَوْثِيقِ عُرَى الْأُخُوَّةِ بَيْنَكُمَا<sup>(٢)</sup>.

فَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «يَا عَائِشُ، هَذَا جَبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ». قَالَتْ: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لِأَرْجُو - إِنْ طَالَ بِي عُمُرٌ - أَنْ أَلْقَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؛ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ»<sup>(٤)</sup>.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَالِدِيَارُ بَعِيدَةٌ وَإِنِّي عَنِ الْمَسْعَى إِلَيْكُمْ لَعَاجِزٌ وَهَذَا كِتَابِي نَائِبًا عَنْ زِيَارَتِي وَفِي عَدَمِ الْمَاءِ التِّيْمُّمُ جَائِزٌ

فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَى السَّلَامِ فَافْعَلْ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «وَأَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ»<sup>(٦)</sup>

(١) (صحيح) رواه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦) وحسنه، وصححه الألباني في «صحيح

الجامع» (٤٠٠)، وفي «الصحيح» (١٨٣).

(٢) انظر «طريقنا للقلوب» للمؤلف (ص ٩).

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٩)، ومسلم (٢٤٤٧).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢٩٨/٢) بإسناد صحيح.

(٥) رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - .

(٦) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَيُّ: أَحَقُّ بِالْقُرْبِ مِنْهُ بِالطَّاعَةِ وَذِكْرِهِ - جَلَّ وَعَلَا - .

مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ<sup>(١)</sup>.

وختاماً، أقول لِمَنْ يقرأ كتابي هذا كما قال ابنُ الورديّ - رحمه الله -:  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ! وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْمُقِلِّ سَلَامٌ

وقال آخره:

سَلَامٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لُفْيَةً وَإِنَّ يَدَا<sup>(٢)</sup> أَنْ تَرُدُّوا السَّلَامَا

أَذْبَ رَبَّانِي،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: ٨٦).



(١) (صحيح) أخرجه أبو داود - واللفظ له - (٥١٩٧)، والتزمذي (٢٦٩٤) وحسنه، وصححه الألباني

في «صحيح الجامع» (٢٠١١).

(٢) لا يقصد باليد هنا اليد الحقيقية، وإنما يقصد بها النعمة والعطاء، وقد وضع اليد موضع النعمة على الاستعارة؛ لأن النعمة تكون بها.

## نَسِيمُ الْمَحَبَّةِ

إِنَّ الْمَصَافِحَةَ نَفْحَةُ الْمُؤَدَّةِ،  
وَبَسَاطَةُ الْأَلْفَةِ، وَنَسِيمُ الْمَحَبَّةِ،  
وَبَلْسَمُ لِكُلُومِ<sup>(١)</sup> الْمُتَحَايِنِ.



السَّلَامُ سَبَبٌ لِلْمَحَبَّةِ، بَلْ خَاطِبُهَا، وَالْمَصَافِحَةُ وَاسِطَةُ عِقْدِهَا<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا،  
فَقَدْ اسْتَوَتْ الْمَحَبَّةُ عَلَى سُوقِهَا، مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَالْمَغْفِرَةِ الْحَقَّةِ، وَتَسَاقَطِ  
الذُّنُوبِ تَسَاقُطَ وَرَقِ الشَّجَرِ.  
قال رسول الله - ﷺ -: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ  
يَتَفَرَّقَا»<sup>(٣)</sup>.

وقال - ﷺ -: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَصَافَحَهُ؛ تَنَاطَرَتْ  
خَطَايَاهُمَا، كَمَا يَتَنَاطَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ»<sup>(٤)</sup>.  
وقال - ﷺ -: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ، نَحَاتَتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) كلوم: جَمْعُ: كَلِمٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهُوَ الْجَرْحُ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى كَلَامٍ.

(٢) واسطة العقد: الجَوْهَرَةُ الْفَاخِرَةُ الَّتِي تُجْعَلُ وَسَطَهُ.

(٣) (حسن) أخرجه أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي  
«صحيح الجامع» (٥٧٧٧)، وفي «الصَّحِيحَةُ» (٥٢٥) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

(٤) (صحيح لغيره) أورده المُنْدَرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» (٤٣٣/٣) عَنِ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَقَالَ: رَوَاهُ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَرَوَاتُهُ لَا أَعْلَمُ فِيهِمْ مَجْرُوحًا. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ (٣٦/٨): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ  
فِي «الْأَوْسَطِ»، وَيَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الطَّحَلَاءِ رَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَلَمْ يُضَعِّفْهُ أَحَدٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ  
نَقَاتٌ. وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح التَّرْغِيبِ» (٢٧٢٠): «صحيح لغيره».

(٥) (صحيح لغيره) أورده المُنْدَرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» (٢٧٠/٣) عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ  
فِي «صحيح التَّرْغِيبِ»: «صحيح لغيره».

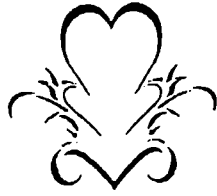
صَافِحَ أَخِيكَ؛ فَرُبَّمَا مَسَحَتْ يَمِينُكَ مَا يَعْيُكَ  
وَاجِبِنِ السَّلَامَةِ بِالسَّلَامِ؛ فَلَسْتَ تَعْرِفُ مَنْ طَيِّبُكَ<sup>(١)</sup>

مِنْ أَدَبِ الْمُصَافِحَةِ أَلَّا تَنْزِعَ يَدَكَ مِنْ يَدِ أَخِيكَ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ قَبْلَكَ.  
فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافِحَهُ، لَا  
يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَن وَجْهِهِ، حَتَّى  
يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

مَاسِنُ،

قَالَ الْحَسَنُ الْبُضْرِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْمُصَافِحَةُ تَزِيدُ فِي الْوُدِّ».

المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق (ص ١٨٩).



(١) ديوان «بلسم الحياة» مخطوط.

(٢) (حسن) أخرجه أبو داود (٤٧٩٤)، والترمذي - واللفظ له - (٢٤٩٠)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣/٩١٠)، وهو في «الصحيح» (٢٤٨٥)، وقال مُحَقِّقُ «جامع الأصول» (١١/٢٥٠): «وهو حديث حسن».

## إشراقَةُ المَحْبِبةِ

إِنَّ التَّبَسُّمَ إِشْرَاقٌ يَسْتَمِيلُ  
الْقُلُوبَ، وَيَسْتَوْلِي عَلَى الْأَفئِدَةِ،  
وَيَسْتَوْطِنُ الشِّغَافَ (١)، وَيَبْقَعُ  
عَلَى السُّرُورِ وَالْإِنْشِرَاحِ.



مِنْ هَدْيِ نَبِيِّنَا - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ تَبَسُّمًا.  
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ - رَوَاهُ - قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ  
- ﷺ -» (٢).

وَكَانَتِ الْبَسْمَةُ مِنْ ضِمْنِ وَصَايَاهُ لِلنَّاسِ، حَتَّى رَفَعَهَا إِلَى مُسْتَوَى الصَّدَقَةِ.  
فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَوَاهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ  
صَدَقَةٌ» (٣).

وَجَعَلَ - ﷺ - لِقَاءَ النَّاسِ بِوَجْهِ طَلِيقٍ - أَي: بِاسْمٍ - مِنْ قَبِيلِ الْمَعْرُوفِ.  
فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَوَاهُ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ  
شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ» (٤).  
قَالَ الشَّاعِرُ:

أَزْرَعِ الْبَسْمَةَ فِي الْكَوْنِ، وَلَا تَقْتُلِ الْحُسْنَ بِخَلْقِ الْحَزَنِ

(١) الشِّغَافُ - بَزْنَةُ السَّحَابِ - : غِلَافُ الْقَلْبِ.

(٢) (صحيح) رواه الترمذي (٣٦٤١)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٨٠).

(٣) (صحيح) رواه الترمذي (١٩٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٠٨)، و«الصَّحِيحَةُ» (٥٧٢).

(٤) رواه مسلم (٢٦٢٦).



كُنْ سَفِيرَ السَّعْدِ فِي كَوَكِبِنَا      بِابْتِسَامٍ مِثْلَ طَهَةَ فَكُنِ  
 كَانَتِ الْبَسْمَةَ لَا تَهْجُرُهُ      ابْتِسَامُ الْمَرْءِ بَغْضُ السُّنَنِ  
 رُتِّبَ الْأَجْرُ عَلَى الْبَسْمَةِ، وَالْ-      عَبَسُ - بِشَسَ الْفِعْلُ! - بَخْسُ الثَّمَنِ<sup>(١)</sup>

وقال استاذنا ابو محمد عبد الكريم العماد - حفظه الله - :

تَبَسَّمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي عُسْرَةٍ      فَإِنَّ التَّبَسُّمَ يَمْحُو الْكَدْرَ  
 يَرَاكَ أَخُوكَ فَيَنْسَى أَسَاءَهُ      وَتُخْرَجُ مِنْ قَيْدِ أَسْرِ الضَّجْرِ  
 فَتَحِيًّا سَعِيدًا، وَتُشْفِي سَقِيمًا      وَتَدْخُلُ بِالْأَجْرِ فَيَمُنُّ أَجْرًا<sup>(٢)</sup>.

من أخلاق النبوة :

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - : « ما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وتبسم في وجهي ». (رواه البخاري (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥)).



(١) بخص الثمن: ناقصه.

(٢) «بلسم الحياة» مخطوط.

## أنوار المخبئة

إِنَّ هُنَاكَ أُمُورًا تَزْرَعُ  
الْأُلْفَةَ وَالْمُودَّةَ فِي الْقُلُوبِ،  
مِنْهَا: الْإِعْلَامُ بِالْمَحَبَّةِ الْقَلْبِيَّةِ،  
إِنْ كَانَ قَلْبُكَ حَبًّا.



فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، وَالتَّوَجِيهَاتُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ فِي التَّأَكِيدِ عَلَى هَذَا الْحَقِّ  
وَرِعَايَتِهِ، لِمَا لَهُ مِنَ الْأَثَرِ الْعَظِيمِ فِي إِشَاعَةِ رُوحِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُودَّةِ وَالْأُلْفَةِ، فَمِنْهَا:  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللَّهِ فَلْيُعَلِّمْنَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الْأُلْفَةِ،  
وَأَثْبَتُ فِي الْمُودَّةِ» (١).

يَقُولُ الْبَغَوِيُّ - رحمه الله -: «وَمَعْنَى الْإِعْلَامِ: هُوَ الْحَثُّ عَلَى التَّوَدُّدِ وَالتَّكْلِيفِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
إِذَا أَخْبَرَهُ، اسْتَمَالَ بِذَلِكَ قَلْبَهُ، وَاجْتَلَبَ وَدَّهَ» (٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ بِأَنَّهُ  
يُحِبُّهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ٢» (٣).

يَقُولُ الْبَغَوِيُّ - رحمه الله -: «وَفِيهِ: أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُحِبٌّ لَهُ، قَبِلَ نُصْحَهُ فِيمَا دَلَّهُ عَلَيْهِ مِنْ  
رُشْدِهِ، وَلَمْ يَرُدَّ قَوْلَهُ فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنْ صَلَاحٍ خَفِيَ عَلَيْهِ بِأَطْنَه» (٤).

(١) ثُمَّ - بِالْفَتْحِ - : اسْمٌ يُشَارُ بِهِ بِمَعْنَى هُنَاكَ.

(٢) (حسن) أَخْرَجَهُ وَكَيْعٌ فِي «الرُّهْدِ» (٣٣٧) عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رحمه الله -،  
وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «النَّصْحِيَّةِ» (١١٩٩)، وَفِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٨٠).

(٣) (شرح السنة) (٦٧/١٣).

(٤) (صحيح) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ (٧١٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رحمه الله -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «النَّصْحِيَّةِ»  
(٧٩٧)، وَ«صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٨١).

(٥) (شرح السنة) (٦٧/١٣).

ومرَّ رجلٌ بالنبِيِّ - ﷺ - ، فقال رَجُلٌ مِّنْ عِنْدِهِ: «إِنِّي لِأَحِبُّ فُلَانًا هَذَا اللهُ». فقال النَّبِيُّ - ﷺ - : «أَعَلِمْتُهُ؟». قال: لا. قال: «قُمْ إِلَيْهِ فَأَعْلِمُهُ». فقام إليه فَأَعْلَمَهُ، فقال: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. ثُمَّ رَجَعَ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ، فقال النَّبِيُّ - ﷺ - : «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا اخْتَسَبْتَ»<sup>(١)</sup>.

ولَقَدْ صَرَخَ النَّبِيُّ - ﷺ - بِمَحَبَّتِهِ لِأَنْوَاسِ بَأَعْيَانِهِمْ، فَمِنْهَا: قَوْلُهُ - ﷺ - لِمُعَاذِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «يَا مُعَاذُ، إِنِّي - وَاللَّهِ - لِأَحْبَبُكَ، أَوْ صِيكَ - يَا مُعَاذُ - لَا تَدْعُنِي فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَبَوَّبَ الْبُخَارِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي «صَحِيحِهِ» بَابًا قَالَ فِيهِ: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - لِلْأَنْصَارِ: «أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ». ثُمَّ سَأَلَ الْحَدِيثَيْنِ بِسِنْدِهِمَا:

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ - ﷺ - وَالنِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مُقْبِلِينَ - قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ عُرْسٍ - فَقَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - - مُثْمَلًا<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(٤)</sup>.

وَعَنَهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ، مِنْ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَكَلَّمَهَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ». مَرَّتَيْنِ<sup>(٥)</sup>.

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (١٥٠/٣)، وأبو داود (٥١٢٥)، والحاكم (١٧١/٤) عن أنس، وقال:

صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيح» (٤١٨).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٢٤٤/٥)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠١)، والحاكم (٢٧٣/١)

وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، والألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

(٣) مُثْمَلًا أَي: قَائِمًا مُنْتَصِبًا.

(٤) رواه البخاري (٣٧٨٥)، ومسلم (٢٥٠٨)، واللفظ له.

(٥) رواه البخاري (٣٧٨٦)، ومسلم (٢٥٠٩).

وهأنا قد سردتُ بَعْضَ الأحاديثِ، وهي قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ؛ لِيَعْلَمَ الجَمِيعُ أَنَّ إِشَاعَةَ رُوحِ المَحَبَّةِ، والتَّأكِيدَ عَلَيْهَا بَيْنَ النَّاسِ خُلِقَ عَظِيمٌ مِنْ أَخْلَاقِ الإِسْلَامِ، بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ - ثَمَرَتَهَا بِقَوْلِهِ: «..... أَبْقَى فِي الأُلْفَةِ، وَأَثْبَتُ فِي المَوَدَّةِ»<sup>(١)</sup>.  
 وَمَنْ رَامَ<sup>(٢)</sup> مَعْرِفَةَ صَفَاءِ المَحَبَّةِ، فَلْيَسْأَلْ قَلْبَهُ، أَلَيْسَتْ القُلُوبُ شَوَاهِدًا؟  
 قال مُجاهدٌ: «رَأَى ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - رَجُلًا، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لِيُحِبُّنِي. قالوا: وما عِلْمُكَ؟! قال: إِنِّي لأُحِبُّهُ، والأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ»<sup>(٣)</sup>، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»<sup>(٤)</sup>.

وللهِ ذَرُّ القَائِلِ:

لَا تَسْأَلَنَّ المَرْءَ عَمَّا عِنْدَهُ      واسْتَمَلِ<sup>(١)</sup> مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ قَلْبِكَ  
 إِنْ كَانَ بُغْضًا كَانَ عِنْدَكَ مِثْلُهُ      أَوْ كَانَ حُبًّا فَازَ مِنْكَ بِحُبِّكَ<sup>(٥)</sup>

مِنْ مَشْكَاتِ التَّنْبُؤَةِ،

قال رسول الله - ﷺ - : «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَحَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ».  
 (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٣٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٥١٢٤) بَلْفَظٍ: «فَلْيُخْبِرْهُ» عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ  
 يَكْرِبَ - رضي الله عنه -، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٢٧٩)).

(١) حسن: تقدّم تَخْرِيجُهُ.

(٢) رام - مِنْ بَابِ قال - : طَلَبَ.

(٣) المُجَنَّدَةُ: المَجْمُوعَةُ.

(٤) «رَوْضَةُ العُقْلَاءِ» (ص ١٨٠).

(٥) يُقال: اسْتَمَلَهُ الكِتَابُ: إِذَا سَأَلَهُ أَنْ يُمْلِيَهُ عَلَيْهِ.

(٦) «دِيوانُ مُحَمَّدِ الوَرَّاقِ» (١٥٦).

## الاستهلال

إن التقديمات بين يدي الخطاب  
بمقدمة تتناسب مع ما سيذكر  
من الحديث مسلك عليه الأقسام<sup>(١)</sup>،  
ورضاع الأذب



وَمَا هُوَ النَّبِيُّ - ﷺ - يُقَدِّمُ بِمُقَدِّمَةٍ رَائِعَةٍ بَيْنَ يَدَيْ دَعْوَةِ قَوْمِهِ، فيقول:  
«أَرَأَيْتُمْ<sup>(١)</sup> لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحٍ<sup>(٢)</sup> هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟». قالوا:  
ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ»<sup>(٤)</sup>.  
وأمر سليم - ﷺ - تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ كَلَامِهَا بِمُقَدِّمَةٍ رَائِعَةٍ، سَجَّلَهَا التَّارِيخُ بِأَحْرَفٍ  
مِنْ نُورٍ، فَهَا هِيَ تَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - : «يا رسولَ الله، إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنْ  
الْحَقِّ، ثُمَّ سَأَلَتْهُ سَوَآلَهَا، فَقَالَتْ: هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ؟. قال:  
«نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ»<sup>(٥)</sup>.

وَتُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ اعْتذارِهَا لِمَنْ خَطَبَهَا بِمُقَدِّمَةٍ تَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِهَا، وَعَظِيمِ أَدَبِهَا،  
خَلَدَهَا التَّارِيخُ، يَرْوِيهَا لَنَا وَلِذَهِبِ أَنْسُ بِنِ مَالِكٍ - ﷺ - قال:  
«خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا مِثْلُكَ - يَا أبا طَلْحَةَ - يَرُدُّ، وَلَكِنَّكَ  
رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسَلِّمَ فَذَلِكَ مَهْرِي، مَا

(١) أَرَأَيْتُمْ أَيُّ: أَخْبِرُونِي.

(٢) سَفْحُ الْجَبَلِ - بِالْفَتْحِ - : أَسْفَلُهُ، وَقِيلَ: عُرْضُهُ حَيْثُ يَسْفَحُ فِيهِ الْمَاءُ، وَالْجَمْعُ سُفُوحٌ.

(٣) عَلَيْهِ الْأَقْوَامُ - بِالْكَسْرِ - : جَلَّتْهُمْ وَعُظِمَتْهُمْ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٧٢)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٠٨) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٨٢)، وَمُسْلِمٌ (٣١٣).

أَسَأَلَكْ غَيْرُهُ. فَأَسَلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا»<sup>(١)</sup>.  
 وَهَرَقْلُ يُقَدِّمُ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ رَغَبْتِهِ فِي إِسْلَامِ قَوْمِهِ مِنَ الرُّومِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ  
 الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يُثْبِتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَاعُوا هَذَا النَّبِيِّ؟»<sup>(٢)</sup>.  
 فَهُوَ لَمْ يَقُلْ لِقَوْمِهِ: اتَّبِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، وَهُوَ مَلِكٌ مُطَاعٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَى، لَكِنْ قَدَّمَ بِمُقَدِّمَةٍ  
 تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَهُمْ.

وَبِالْخَفْلَةِ: فَالْتَّقْدِيمَاتُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَطَابِ تَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ صَاحِبِهَا إِلَى مَصَافِّ<sup>(٣)</sup>  
 الْأُدْبَاءِ الْعُقَلَاءِ، بَلْ إِنَّهُ لَيَتَرَبَّعُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَيُنْظَرُ لَهُ نَظْرَةَ إِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ، وَبِاللَّهِ  
 التَّوْفِيقُ.

## وَاسْطَةَ الْعَقْدِ :

قال أبو هلال العسكري - رحمه الله - :

«إِذَا كَانَ الْإِبْتِدَاءُ حَسَنًا بَدِيعًا، وَمَلِيحًا رَشِيقًا - كَانَ دَاعِيَةَ الْإِسْتِمَاعِ لَمَّا  
 يَجِيءُ بَعْدَهُ مِنَ الْكَلَامِ». (الصناعتين) (ص ٤٣٧).



(١) رواه البخاري (٧).

(٢) المصاف: جمع المصاف، وهو موضع الصَّف.

(٣) صحيح: رواه النسائي (١١٤/٦) وصححه الألباني في (صحيح النسائي).

## جمال الذوق

إِنَّ التَّنَزُّهَ عَنِ الْأَلْفَافِ الشَّنِيعَةِ  
الَّتِي تَنْفِرُ مِنْهَا الطَّبَاعُ، وَتَنْبُو عَنْهَا  
الْأَسْمَاعُ، وَالتَّعْبِيرَ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ جَمِيلَةٍ  
. دَرَجَةٌ مِنَ الْأَدَبِ سَنِيَّةٌ <sup>(١)</sup>،  
وَمَكَانَةٌ فِي حُسْنِ السَّمْتِ <sup>(٢)</sup> عَلِيَّةٌ.



التَّلَفُّظُ بِالْوَحْشِيِّ الشَّنِيعِ مُجَافَاةُ الصَّوَابِ، وَفَاقِدُ نَاطِقَةِ السَّجَايَا وَالْآدَابِ، وَالْمُؤْمِنُ  
يَنَائِي بِنَفْسِهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ، وَيَتَجَانِي عَنِ الْبَدَاءِ.

فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا  
اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيِّ» <sup>(٣)</sup>.

قَالَ النَّوَوِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: وَمِمَّا يُنْهَى عَنْهُ الْفُحْشُ، وَبَدَاءَةُ اللِّسَانِ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ  
فِيهِ كَثِيرَةٌ وَمَعْرُوفَةٌ.

وَمَعْنَاهُ: التَّعْبِيرُ عَنِ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَحَةِ بِعِبَارَةٍ صَرِيحَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً، وَالْمُتَكَلِّمُ  
بِهَا صَادِقًا، وَيَقَعُ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي أَلْفَافِ الْوَقَاعِ وَنَحْوِهَا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْكِنَايَاتُ، وَيُعْبَرَّ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ جَمِيلَةٍ يُفْهَمُ بِهَا الْغَرَضُ.  
وَهَذَا جَاءَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ، وَالسُّنَنُ الصَّحِيحَةُ الْمَكْرَمَةُ:

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٢١).

(١) سَنِيَّةٌ: رَفِيعَةٌ.

(٢) السَّمْتُ - بِالْفَتْحِ -: اتِّبَاعُ الْحَقِّ وَالْهَدْيِ.

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (٤٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢)، والتِّرْمِذِيُّ (١٩٧٧) -واللفظ له-، وقال: «حسنٌ غريبٌ»، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٣٧).

وقال - تعالى -: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ (البقرة: ٢٣٧).  
والآيات والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.

قال العلماء: «فينبغي أن يُستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يُستحيا من ذكرها بصريح اسمها - الكنايات المفهومة، فيُكنى عن جماع المرأة بالإفشاء، والدخول، والمعاشرة، والوقاع، ونحوها، ولا يُصرَّح بالنكح، والجماع، ونحوهما، وكذلك يُكنى عن البول، والتغوط بقضاء الحاجة، والذهاب إلى الخلاء، ولا يُصرَّح بالحزاء، والبول، ونحوهما.

وكذلك ذكر العيوب: كالبرص، والبحر<sup>(١)</sup>، والصنآن<sup>(٢)</sup>، وغيرها - يُعبّر عنها بعبارات جميلة يفهم منها الغرض.

ويُلحق بما ذكرناه من الأمثلة ما سواه<sup>(٣)</sup>.

ومن دُرر العلامة الماوردني - رحمه الله - قوله في بيان آداب الكلام:

«ومن آدابه: أن يتجافى هجر القول، ومُستقبَح الكلام، وليُعدِل إلى الكناية عما يُستقبَح صريحه، ويُستهجن فصيحُه؛ لِيبلغ الغرض ولسانه نزهة، وأدبه مضمون<sup>(٤)</sup>».

ومن طريف ما يُذكر: أن الحجاج بن يوسف - على الرغم من شنيع أعماله - كان يتجافى عن الفحش البذيء، والسخيف الدنيء.

قال الحصري - رحمه الله -: «وكان الحجاج - على قبح أفعاله، وسوء أحواله - يتنزه عن أن ينطق بلفظة سخيفة، وقد قال لمن اتهمه بهال ابن الأشعث: لو حَبَّأته تحت - حتى قال: تحت ذيلك - لم يكن بُد من إخراجِه<sup>(٥)</sup>».

(١) البحر: تنن الفم، وبابه فرح.

(٢) الصنآن - بزنة الغراب - : ذفر الإبط.

(٣) «الأذكار» للنووي (ص ٣٣٤).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٥).

(٥) «جمع الجواهر في الملح والنوادر» للحصري (ص ٦٠٤).



وإنما أراد أن يقول: تَحْتِ اسْتِكَ<sup>(١)</sup>.

وكذلك الأمثال يُحْسِنُ اختيارُ أَحْسَنِهَا لَفْظًا<sup>(٢)</sup>.

قال الماوردي - رحمه الله - في بيان آداب الكلام: «وَمِنْ آدَابِهِ: أَنْ يَجْتَنِبَ أَمْثَالَ الْعَامَّةِ الْغَوْغَاءِ<sup>(٣)</sup>، وَيَتَخَصَّصَ بِأَمْثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَدَبَاءِ<sup>(٤)</sup>؛ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ أَمْثَالَ تُشَاكِلُهُمْ، فَلَا تَجِدُ لِسَاقِطٍ إِلَّا مَثَلًا سَاقِطًا، وَتَشْبِيهَا مُسْتَقْبِحًا<sup>(٥)</sup>».

#### سبائك ذهبية

قال القاسمي - رحمه الله - : «إِيَّاكَ وَمَا يُسْتَقْبَحُ مِنَ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّهُ يُنْفَرُ عَنْكَ الْكِرَامَ، وَيُوثِبُ عَلَيْكَ اللَّثَامَ» (جوامع الآداب) للقاسمي (ص ٦).



(١) الاست: حَلَقَةُ الدُّبْرِ.

(٢) لِيَعْلَمَ الْمُتَادِبُ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَمْثَالِ الشَّعْبِيَّةِ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْكَلَامُ الْفَاحِشُ إِلَّا مَا نَدَرَ، وَكَذَلِكَ بَعْضُ أَمْثَالِ الْعَرَبِ.

(٣) الْغَوْغَاءُ: سَقَطُ النَّاسِ وَهَمَلُهُمْ.

(٤) أَمْثَالُ الْأَدَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الْفُضَلَاءِ مَبْثُوثَةٌ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَقَدْ جَمَعْتُ بَعْضَهَا فِي كِتَابِ أَسْمِيَّتُهُ «الْمُنْتَقَى مِنْ أَمْثَالِ النَّبَلَاءِ»، وَهُوَ مَطْبُوعٌ مَتَدَاوِلٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٦).

## السَّخَرُ الْخَلَالُ

إِنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ مَا عَجَنَ  
غُنْبِيرَ الْفَاطِمَةِ بِمَسْكٍ مَعَانِيهِ،  
فَفَاحَ نَسِيمَ غَبَقِهِ، وَسَطَعَ  
أَرْبِجَهُ، وَعَقَدَ سَحْرَهُ.

فَاهِم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا». أَوْ: «إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ سِحْرٌ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن دُرَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «يُرِيدُ: أَنَّ الْبَلِيغَ يَبْلُغُ بَيَانَهُ مَا يَبْلُغُهُ السَّاحِرُ فِي لَطَافَةِ حِيلَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.  
وقال ابنُ الرُّومِيِّ - وَأَخْسَنَ - :

وَحَدِيثُهَا السَّخَرُ الْخَلَالُ لَوْ أَنَّهَا  
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلَّلْ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ  
شَرَكُ<sup>(٤)</sup> الْعُقُولِ، وَنُزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا  
دُرٌّ تَعِيشُ الْأُذُنُ فِي نَعْمَاتِهَا  
لَمْ تَجُنْ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ<sup>(٣)</sup>  
وَدَّ الْمُتَحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزْ  
لِلْسَامِعِينَ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ  
بِمُطَرِّزِ عَذْبٍ وَغَيْرِ مُطَرِّزِ<sup>(٥)</sup>

(١) رواه البخاري (٥١٤٦)، (٥٧٦٧).

(٢) «المجتنى» (ص ١١).

(٣) الْمُتَحَرِّزُ: الْمُتَوَقِّي الْمُتَحَصِّنُ.

(٤) الشَّرْكُ - بفتح حين - : حَبَائِلُ الصَّائِدِ الَّتِي يَزْتَبِكُ فِيهَا الصَّيْدُ، وَاحِدُهَا شَرَكَةٌ، وَجَمْعُهَا شُرُكٌ - بضم حين -، وَهِيَ قَلِيلَةٌ نَادِرَةٌ.

(٥) «الأمالي» (١/ ١١٥)، و«نهاية الأرب» (٢/ ٧١)، و«أدب المجالسة» (ص ٤٦)، وفي «ديوانه» (ص ٤٠٩):

«لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجُنْ»، و«التمهيد» (٥/ ١٧٥).

(٦) «التمهيد» (٥/ ١٧٥).

وقال يوسف بن هارون:

نظقت بسحر بَعْدَهَا غَيْرَ أَنَّهُ  
كَذَاكَ ابْنُ سِيرِينَ بِنْفَةِ يُوسُفَ  
وقال حسان في ابن عباس - ~~رحمته~~ -  
صَموت إذا ما الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلُهُ  
وَعَى ما وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ  
مِنَ السَّحْرِ ما لَمْ يُخْتَلَفْ فِي حَلَالِهِ  
تَكَلَّمَ فِي التَّرْوِيَا بِمِثْلِ مَقَالِهِ<sup>(١)</sup>  
وَفَتَّاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ  
وَنَيْطُتُ<sup>(٢)</sup> لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْأَدَمِ<sup>(٣)</sup>

زَبْرَجْدُ:

قال عمر بن عبد العزيز - ~~رحمته~~ - لرجل سأله حاجة، فأحسن المسألة، فأعجبه  
قوله -: «هذا - والله - السحر الحلال».  
(بهجة المجالس) (١/٥٧)، و(التمهيد) (٥/١٧٤).



(١) نَيْطُتُ: عُلِّقْتُ، وَقَدْ نَاطَ الشَّيْءُ بِهِ مِنْ بَابِ قَالَ.  
(٢) «التمهيد» (٥/١٧٨).

## جَرَسُ الْقُلُوبِ

إِنْ فِي الْفُضْحَى خَلَاوَةٌ مَنْطِقٍ،  
فَاهِمٌ وَرِشَاقَةٌ تَقْضَى، وَزَيْنٌ أَخَاذٌ،  
وَالنَّاسُ يُجْلُونَ مِنْ اعْتَادِ الْحَدِيثِ بِالْفُضْحَى،  
وَيَهَابُونَ حَتَّى الْعَامَّةِ<sup>(١)</sup>، وَمَنْ لَا يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ<sup>(٢)</sup>.



إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَقْرَعَ جَرَسَ الْقُلُوبِ، فَلَا أَرَى أَجْمَلَ وَأَحْلَى مِنْ جَرَسِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُضْحَى،  
فَاعْتَدِ الْحَدِيثُ بِهَا؛ فَإِنَّ لَهَا نِعْمَةَ أوتارٍ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنْ لُغَاتِ الْعَالَمِ.  
قال ابن بسام - رحمه الله -:

فَلَا تَعْدُ إِضْلَاحَ اللِّسَانِ؛ فَإِنَّهُ  
وَيُعْجِبُنِي زِيُّ<sup>(٣)</sup> الْفَتَى وَجَمَالُهُ  
يُخْبِرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ  
وَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يَلْحَنُ  
وقال شوقي:

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسِرَّهُ فِي الضَّادِ

(١) بعضُ العاجزين عن تعلُّمِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْعَامِيَّةِ؛ لِمُخَاطَبَةِ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ،  
وَالجَوَابُ عَلَيْهِ:

قال د. فتحي جمعة أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة - حفظه الله -: «إِنَّ الْمُخَاطَبَةَ عَلَى قَدْرِ الْعُقُولِ  
لَا تَعْنِي تَبْدُلُ اللُّغَةَ، أَوْ هُبُوطَ الْكَلَامِ، وَأَنْحِرَافَهُ عَنْ سُنَنِ الْفُضْحَى، وَإِنَّمَا تَعْنِي الْإِبْتِعَادَ عَنْ تَعْقِيدِ الْفِكْرَةِ، وَالتَّقَعُّرِ  
فِي اللُّغَةِ (أَي: تَعَمُّدِ اخْتِيَارِ الصَّغْبِ مِنَ التَّرْكِيبِ، وَالغَرِيبِ الْوَحْشِيِّ مِنَ الْكَلَامِ)، أَمَّا الْجُنُوحُ إِلَى الْعَامِيَّةِ بِدَعْوَى  
إِفْهَامِ الْعَوَامِ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ مُدَارَاةً لِلْعَجْزِ عَنِ الْفُضْحَى، وَقِصْرَ الْبَاعِ فِي اسْتِعْمَالِهَا - فَهُوَ ادِّعَاءٌ يَظْلِمُ الْفُضْحَى  
وَالْعَوَامَ فِي وَفْتٍ مَعًا: يَظْلِمُ الْفُضْحَى بِأَنَّهَا غَيْرُ مَفْهُومَةٍ، وَوَاللَّهِ، إِنَّهَا لِمَفْهُومَةٍ، وَيَظْلِمُ الْعَوَامَ بِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ،  
وَتَاللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَفْهَمُونَ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَخْشَعُونَ لِلْقُرْآنِ، وَيَتَأَثَّرُونَ بِبَالِغِ الْمَوْعِظَةِ، وَجَمِيلِ الْبَيَانِ؟!». اهـ

(٢) الْعَرَبِيَّةُ الْفُضْحَى سَمَاعِيَّةٌ، لَهَا لَذَاذَةٌ فِي الْأَسْمَاعِ؛ لِذَا تَجَدُّ مَنْ لَا يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ يَطْرَبُ لِسْمَاعِ  
الْفَصِيحِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَهْتَرُ لِسْمَاعِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْفُضْحَى، وَهَذَا مُجَرَّبٌ مُشَاهِدٌ.  
(٣) الزِّيُّ - بِالْكَسْرِ: اللَّبَاسُ وَالْهَيْئَةُ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ مِنْهَا شَيْئًا؛ فَإِنَّهَا تُجَمِّلُكَ مَا تَحَدَّثْتَ بِهَا!  
 النَّخْوُ يُضْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ<sup>(١)</sup> وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ  
 وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلُهَا شَأْنًا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْ وَصِيَّةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِبَعْضِ بَنِيهِ: «يَا بَنِيَّ، أَضْلِحُوا أَلْسِنَتَكُمْ؛ فَإِنَّ  
 الرَّجُلَ تَنُوبُهُ النَّائِبَةُ<sup>(٣)</sup>، فَيَتَجَمَّلُ فِيهَا، فَيَسْتَعِيرُ مِنْ أَخِيهِ دَابَّتَهُ، وَمِنْ صَدِيقِهِ تَوْبَهُ، وَلَا  
 يَجِدُ مَنْ يُعِيرُهُ لِسَانَهُ»<sup>(٤)</sup>.

إِنِّي - وَإِنْ كُنْتُ أَثْوَابِي مُلْفَقَةً - لَيْسَتْ بِخَزْرٍ<sup>(٥)</sup>، وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانٍ<sup>(٦)</sup>  
 فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هَمَّاتِي، وَفِي لُغَتِي فَصَاحَةٌ، وَلِسَانِي غَيْرُ لِحَانٍ<sup>(٧)</sup>

وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يَذْكَرُ: أَنَّ أَحَدَ الْفُصَحَاءِ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ ثِيَابٌ فَاخِرَةٌ، يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ فَيَلْحَنُ  
 فِي كَلَامِهِ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّمَا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُشْبِهُ لِبَاسَكَ، أَوْ تَلْبَسَ لِبَاسًا يُشْبِهُ كَلَامَكَ!».  
 جَمَّلَ الْمَنْطِقَ بِالنَّخْوِ فَمَنْ مُجْرِمُ الْإِعْرَابِ فِي النَّطْقِ اخْتَبَلَ  
 فَاللسانُ العَضْبُ سَيْفٌ مُصَلَّتْ كَمِ بِسِخْرِ مِنْ حَدِيثٍ قَدْ قُتِلَ

لائي:

قال عبد الملك بن مروان - رحمه الله -: «اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه». (القواعد الأساسية) للهاشمي (ص ٣).

(١) الألكن: الذي لا يقيم العربية لعجمة لسانه، والجمع لُكن.

(٢) «القواعد الأساسية» للهاشمي (ص ٤).

(٣) النائبة: المصيبة، والجمع النوائب.

(٤) «القواعد الأساسية» (ص ٣).

(٥) الخز بالفتح: الحرير، والجمع خزوز.

(٦) الكتان بالفتح والتشديد: القطن.

(٧) «المفرد العلم في رسم القلم» للهاشمي (ص ٣٩).

## مَشَاعِرُ الْكَلِمَةِ

إِنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ قَدْرًا كَبِيرًا  
مِنَ الْمَشَاعِرِ الصَّادِقَةِ لَتَكْسِبُ  
صَاحِبَهَا حُبَّ النَّاسِ وَتَقْدِيرَهُمْ،  
بَلْ إِنَّهُمْ لَيَجْلُوْنَهُ فَوْقَ إِجْلَالِهِمْ  
لَأَنْفُسِهِمْ.



قَدْ تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَتَجِدُهَا مِنَ الْإِرْتِيَاحِ مَا لَا تَجِدُهُ لغيرها مِنْ آفِ الْكَلِمَاتِ، بَلْ  
وَتَأْسُرُكَ، وَتَشْعُرُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ، لَتَسْتَقِرَّ فِي الْقَلْبِ.  
فِي كُلِّ لَفْظٍ مِنْ لِسَانِكَ دُرَّةٌ تَحْتَارُ فِي أَوْصَافِهَا الْأَلْبَابُ  
تَنْسَابُ فِي قَلْبِي، فَيَحْيَا مِثْلَهَا يُجْبِي النَّبَاتَ الْمَاءُ إِذْ يَنْسَابُ  
يَا مُخْرِسَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمُرْهَفَ الْأَسْمَاعِ إِنَّ قَالُوا: لَدَيْهِ خِطَابٌ<sup>(١)</sup>

وما مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْإِنْسَانَ النَّاصِحَ فِي عَوَاطِفِهِ وَمَشَاعِرِهِ يَعْرِفُ مَا وَرَاءَ الْكَلِمَاتِ  
الْمَنْطُوقَةِ مِنْ مَشَاعِرٍ، وَأَعْظَمُ مَنْ يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ النَّسَاءُ؛ لِأَنَّهنَّ أُنْدَى عَاطِفَةٌ<sup>(٢)</sup>.

تَقُولُ إِخْدَاهُنَّ - وَهِيَ عَيْبِرُ الْعِقَادِ - :

«كثيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُعِيرُونَ أَهْمِيَّةً لَصَدَى كَلِمَاتِهِمْ، وَوَقَعَهَا فِي نُفُوسِ الْغَيْرِ؛ فَتَرَاهُمْ  
لَا يُفَكِّرُونَ بِمَا يَقُولُونَ وَلَا يَأْبَهُونَ بِمَشَاعِرِ الْآخَرِينَ وَهُنَاكَ مِنَ الْأَشْخَاصِ مَنْ تَعَدَّى  
هَذِهِ الْمَرْحَلَةَ، وَتَبَّهَ إِلَى أَثَرِ الْكَلِمَاتِ الْإِيجَابِيَّةِ فِي النَّفْسِ، فَتَرَاهُمْ يُحَدِّثُونَ الْآخَرِينَ بِكَلِمَاتِ  
وَتَعْبِيرَاتِ جَمِيلَةِ الْمَظْهَرِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ - لِلْأَسَفِ - لَا تَمْلِكُ ذَلِكَ الْأَثَرَ الْفِعَّالَ، لِمَاذَا؟  
لِأَنَّهَا غَيْرُ صَادِقَةٍ، وَلَا تُقَالُ بِإِخْلَاصٍ.... إِنَّهَا هِيَ مُجَرَّدُ كَلِمَاتٍ، أَرَادَ صَاحِبُهَا إِسْدَالَ

(١) «بلسم الحياة» مخطوط.

(٢) أُنْدَى عَاطِفَةٌ أَي: أَحْسَنُ.

سِتَارِ اجْتِمَاعِيٍّ جَمِيلٍ عَلَى نَفْسِهِ حِينَهَا قَالَهَا، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي طَبِيعَةِ الْبَشَرِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِوُجُودِ  
جِهَازِ اسْتِقْبَالِ قَوِيٍّ مُفْعَمٍ بِالذِّكَاةِ<sup>(١)</sup> وَالتَّحْلِيلِ، ذَلِكَ الْجِهَازُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْشِفَ  
مَا وَرَاءَ الْكَلِمَاتِ الْمَنْطُوقَةِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَيِّزَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُنْطَقُ دُونَهَا نِيَّةً صَافِيَةً مِنْ  
نَفْسِ صَاحِبِهَا عَنِ الْأُخْرَى الَّتِي تَحْمِلُ فِي هَمَّاسَاتِهَا كُلِّ الْحُبِّ وَالصَّفَاءِ، وَالشَّفَاقِيَّةِ  
وَالتَّقْدِيرِ.

فَالكَلِمَاتُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَّا تَكُونُ مُحَمَّلَةً بِطَاقَةِ نَاطِقَتِهَا الْفِعْلِيَّةِ: فِيمَا طَاقَةُ الْحُبِّ....،  
أَوْ الْمَجَامِلَةِ... الْعَطْفِ.... اللَّامِبَالَةِ... التَّمَلُّكِ... الْكُرْهُ... إلخ.  
لِذَا كَثِيرًا مَا تَكَرَّرَ شَخْصًا رَغَمَ مَقْدَارِ الْكَلِمَاتِ الْإِيجَابِيَّةِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا مَعَكَ تَعْبِيرِ  
(يا حبيبي!) لِمَاذَا؟.

لِأَنَّ جِهَازَ اسْتِقْبَالِكَ - إِنْ كَانَ حَسَّاسًا وَنَاضِجًا - اسْتَطَاعَ التَّقَاطُطَ طَاقَةِ الْكَلِمَةِ،  
وَعَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ يَبْعَثُ اللَّامِبَالَةَ، وَرَبِّمَا كُرَّهَا مَعَ كَلِمَةِ (يا حبيبي!)<sup>(٢)</sup>.  
قُلْتُ: هَذَا وَقَعَ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ، لَا يُنْكَرُهُ إِلَّا مَنْ بَأْذُنِهِ طَرَسُ، وَفِي عَيْنِهِ رَمَدٌ، فَمَنْ  
لَزِمَ جَانِبَ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، وَوَجَدَ لِكَلَامِهِ رُوحَ مِنَ التَّأْثِيرِ وَالتَّنْفِيدِ، وَلَا بُدَّ.

عَسَجَدُ،

قال عامر بن قيس - رحمه الله -:

«الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ، وَقَعَتْ فِي الْقَلْبِ، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ  
اللِّسَانِ، لَمْ تُجَاوِزِ الْأَذَانَ» (تحفة الخطيب) للمؤلف (ص ١٦).

(١) مُفْعَمٌ بِالذِّكَاةِ: مَمْلُوءٌ بِهِ.

(٢) «مجلة البيان» عدد (٢٣٣).

## صفحة مفتوحة

إن المرء متى أضمر حبا  
فاهم أو بغضا، فلا يخفى ذلك  
على أصحاب البصيرة النافذة،  
فالوجه صفحة مقروءة،  
والعيون مغاريف القلوب.



قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾  
(النحل: ٥٨).

وقال - تعالى - : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ (الحج: ٧٢).

وقال - تعالى - : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ (يونس: ٢٧).

وقال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾  
(الأحزاب: ١٩).

فهذه الآيات وغيرها لتدل دلالة واضحة على أن الوجه صفحة مفتوحة، بها يُعرف ما  
في القلب، وإن لم يتكلم صاحبها.

قال الشاعر:

إِنْ كَاتَمْنَا الْقَلِيَّ (١) نَمَّتْ (٢) عُيُونُهُمْ وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ (٣)

وقال أستاذنا العماد:

عَيْنَاكَ تُخْبِرُنِي بِمَا أَخْفَيْتَ مِنْ دَمْعِ الصَّبَابَةِ، أَوْ لَطَى الْأَشْوَاقِ  
وَلَقَدْ أَمَنْتَ مِنَ اللِّسَانِ لِحِفْظِهَا لَكِنْ نَسِيتَ خِيَانَةَ الْأَحْدَاقِ (٤)

(١) القلي: البغض، يقال: قلاه يقلبه قلى وقلاء - بالفتح والمد -، ويقال له لغة طييء.

(٢) نمت: رفعت الحديث وأشاعته، وباب نم رد، وينم - بالكسر - لغة فيه.

(٣) «عيون الأخبار» (١/ ١٨١).

(٤) «بلسم الحياة» مخطوط.



وَالْعَيْنُ أَشَدُّ بِلَاغَةً، وَأَبْلَغُ تَعْبِيرًا؛ وَهَذَا قَالُوا: «رُبَّ طَرْفٍ<sup>(١)</sup> أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ»<sup>(٢)</sup>.  
وَقَالُوا: «رُبَّ عَيْنٍ أَنْتُمْ مِنْ لِسَانٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالُوا: «اخْتَرَسَ مِنَ الْعَيْنِ، فَوَاللَّهِ، لَهِيَ أَنْتُمْ مِنَ اللِّسَانِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالُوا: «شَاهِدُ اللَّحْظِ<sup>(٥)</sup> أَصْدَقُ»<sup>(٦)</sup>.

وقال الشاعر:

وما أحب إذ أحببت مُكْتَتِمًا      يُبْدِي الْعَدَاوَةَ - أَحْيَانًا - وَيُخْفِيهَا  
تَظَلُّ فِي قَلْبِهِ الْبَغْضَاءُ كَامِنَةً      فَالْقَلْبُ يَكْتُمُهَا، وَالْعَيْنُ تُبْدِيهَا  
وَالنَّفْسُ تَعْرِفُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثَهَا      مَنْ كَانَ مِنْ سَلْمِهَا، أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا  
عَيْنَاكَ قَدْ دَلَّتَا عَيْنِي مِنْكَ عَلَى      أَشْيَاءَ، لَوْلَاهُمَا مَا كُنْتُ أَدْرِهَا<sup>(٧)</sup>  
وقال ابن الأغراني:

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا      مِنَ الشَّنَاءَةِ<sup>(٨)</sup> أَوْ وُدِّ إِذَا كَانَ  
إِنَّ الْبَغِيضَ لَهُ عَيْنٌ يَصُدُّ<sup>(٩)</sup> بِهَا      لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا فِي الصَّدْرِ كِتْمَانًا  
الْعَيْنُ تَنْطِقُ، وَالْأَفْوَاهُ سَاكِنَةٌ      حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبْيَانًا<sup>(١٠)</sup>

وَبِالْجُمْلَةِ: فَهَذَا الْبَابُ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَبَقِيَ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّهُ هَلْ لَنَا أَنْ نَعْمَلَ غَيْرَنَا بِمَا  
ظَهَرَ لَنَا مِنْ لَحْظِهِ، أَوْ صَفْحَةٍ وَجْهِهِ؟

(١) الطَّرْفُ بِالْفَتْحِ: الْعَيْنُ.

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ١٨١).

(٣) «مجمع الأمثال» (١/ ٣١٤).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٠٤).

(٥) اللَّحْظُ: النَّظَرُ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ مِنْ أَيِّ جَانِبِهِ كَانَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا، وَهُوَ أَشَدُّ تَفَاتًا مِنَ الشَّرِّ، وَيَابُهُ قَطَعٌ،  
وَلَحْظَانًا أَيْضًا بِالتَّحْرِيكِ.

(٦) «مجمع الأمثال» (١/ ٣١٤).

(٧) «روضة العقلاء» (ص ١٠٧).

(٨) الشَّنَاءَةُ: الْبُغْضُ وَالْكَرَاهِيَّةُ.

(٩) يَصُدُّ: يُعْرِضُ، وَيَابُهُ دَخَلَ.

(١٠) «روضة العقلاء» (ص ١٠٦).

الجواب: لا، بل نأخذ الحِيطَةَ والحَذَرَ فَقَطْ، فإذا ظهر لنا شيءٌ مِنْ فِعْلِهِ، أو فَلَاتِ لِسَانِهِ - عاملناهُ بذلك، وإن ظهر لنا شيءٌ مِنْ طَرَفِهِ، أو صَفْحَةِ وَجْهِهِ - لَزِمْنَا التَّغَافُلَ، فَقَدْ كَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ بَعْضِ طُلَّابِهِ، فَأَخْبَرَ تَلْمِيزَهُ ابْنَ القَيْمِ بِمَا يَرَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنَا؟».

فقال: «إِنَّكُمْ لَا تَصْبِرُونَ».

وقال إبراهيم بن المهدي العباسي - رحمه الله -:

«اعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ مَا مُحِبُّ أَوْ مَا تَكْرَهُ، فَإِنَّمَا لَكَ أَنْ تَقِيسَ مَا أَضْمَرَ قَلْبُهُ بِالَّذِي أَظْهَرَ لِسَانَهُ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَعْرِفَ مَا أَسَرَ ضَمِيرُهُ، فَعَامِلُهُ عَلَى نَحْوِ مَا يُبْدِي لَكَ لِسَانَهُ»<sup>(١)</sup>.

لَيْسَ المُسِيءُ إِذَا تَغَيَّبَ سُوءُهُ  
عَنِّي بِمَنْزِلَةِ المُسِيءِ المُعْلِنِ  
مَنْ كَانَ يُظْهِرُ مَا أَحَبُّ فَإِنَّهُ  
عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الأَمِينِ المُحْسِنِ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالقُلُوبِ، وَإِنَّمَا  
لَكَ مَا بَدَا لَكَ مِنْهُمْ بِالأَلْسِنِ  
وَلَقَدْ يُقَالُ خِلَافُ ذَلِكَ: إِنَّمَا  
لَكَ مَا بَدَا لَكَ مِنْهُمْ بِالأَعْيُنِ

ماسن :

قال إبراهيم الحنجي - رحمه الله -:

«دَلَائِلُ الحُبِّ تُعْرِفُ فِي الحُبِّ، وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ لِسَانُهُ».

(روضة العقلاء) (ص ١٠٧).



(١) المرجع السابق (ص ١٠٧).

## صَيْدُ الْقُلُوبِ

إِنَّ التَّوَاضِعَ مِنْ مَضَائِدِ الْقُلُوبِ،  
يَطِيرُ بِهَا إِلَى سَمَاءِ الْغَلَا،  
تَخَالُهُ الطَّائِرُ، وَهِيَ مِنْ طَارِبِهِ.



ما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ فِي الْقُلُوبِ مَنَزِلَتَهُ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ - ﷺ - :  
«ما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup>».

قال ابن الحاج - رحمه الله - : «مَنْ أَرَادَ الرَّفْعَةَ، فَلْيَتَوَاضِعْ لِلَّهِ - تَعَالَى - ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَا تَقَعُ إِلَّا بِقَدْرِ النُّزُولِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَمَّا نَزَلَ إِلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ، صَعِدَ إِلَى أَعْلَاهَا، فَكَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ: مَا صَعِدَ بِكَ هُنَا - أَعْنِي فِي رَأْسِ الشَّجَرَةِ - وَأَنْتَ فِي أَصْلِهَا؟!، فَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِ يَقُولُ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قال البخترى:

دَنُوتٌ تَوَاضِعًا، وَعَلَوَتْ مَجْدًا      فَشَأْنُكَ أَنْخَفَاضٌ وَارْتِفَاعٌ  
كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى<sup>(٤)</sup>      وَيَدْنُو الضُّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

(١) قال النووي - رحمه الله - في «شرح على مسلم» (١٤٢/٦) في شرحه لهذا الحديث:

«قَوْلُهُ - ﷺ - : ما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» فِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا - يَرْفَعُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُنْبِتُ لَهُ - بِتَوَاضِعِهِ - فِي الْقُلُوبِ مَنَزِلَةً، وَيَرْفَعُهُ اللَّهُ عِنْدَ النَّاسِ، وَيُجِلُّ مَكَانَهُ. وَالثَّانِي - أَنْ الْمُرَادَ: ثَوَابُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَرَفَعَهُ فِيهَا - بِتَوَاضِعِهِ - فِي الدُّنْيَا.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) «المدخل» لابن الحاج (١٢٢/٢).

(٤) تُسَامَى: تُفَاخِرُ.

وقال - ايضاً - :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْءُهُ  
لِلْعُصْبَةِ<sup>(١)</sup> السَّارِينِ<sup>(٢)</sup> جِدُّ قَرِيبٍ  
وقال غزوة:

تَوَاضَعُ تَكُنُّ كَالنَّجْمِ لَآخٍ<sup>(٣)</sup> لِنَاطِرٍ  
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَغْلُو بِنَفْسِهِ  
على صَفَحَاتِ الْمَاءِ، وَهُوَ رَفِيعٌ  
إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ، وَهُوَ وَضِيعٌ

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله - :

خَلَّ التَّمَاظِمَ فِي الْمَلَا  
مَهْمَا عَلَوْتَ بِنَاطِرِكَ  
لَنْ تَرْتَقِي إِلَّا إِذَا  
فَالنَّاسُ هُمْ أَذْرَى بِحَالِكَ  
فَلَسْتَ عِنْدَهُمْ كَذَلِكَ  
كَانَ التَّوَضُّعُ رَأْسَ مَالِكَ<sup>(٤)</sup>

سَبَائِكُ ذَهَبِيَّةٌ :

قال ابن المقفع: «إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس،  
ومقام ومقال، ورأي وفعل - فافعل؛ فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة  
التي تحط إليها نفسك، وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه،  
وتعظيمهم من أمرك ما لم تعظم، وتزوينهم من كلامك ورأيك وفعلك  
ما لم تزين - هو الجبال».

(الأدب الصغير، والأدب الكبير) (ص ١١٨-١١٩).

(١) العُصْبَةُ بِالضَّمِّ: الجماعة.

(٢) السَّارِينِ: السَّائِرِينَ لَيْلًا مِنَ الشَّرَى، وَهُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ.

(٣) لَآخٍ: بَدَأَ وَظَهَرَ، وَبَابُهُ قَالَ.

(٤) «بلسم الحياة» مخطوط.

## استراحة القلوب

إِنَّ الْمَلِيحَ وَالنَّادِرَ الرَّائِعَ مِنَ الْأَحَادِيثِ  
إِذَا حَرَصَ الْمَرْءُ عَلَى انْتِقَائِهَا، وَنَثَرَهَا  
عِنْدَ مَنْ يَزْعَبُ لِيُزَيِّنَ فِي حَدِيثِهِ،  
وَرَأَيْهِ، وَفَعَلَهُ مَا لَمْ يُزَيِّنْ.



حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ الْمَلِيحِ وَالرَّائِعِ مِنَ الْأَحَادِيثِ؛ لَتَنْثُرَهَا فِي كُلِّ مَجْلَسٍ  
وَمَقَامٍ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَزَالُ شَغُوفًا بِمَا لَمْ يَذُقْ، فَإِذَا أَطْعَمْتَهُ نَوَادِرَ الْحَدِيثِ، ظَنَّ أَنَّ  
لِحَدِيثِكَ شَأْنًا غَيْرَ شَأْنِ مَا ذَاقَ، فَيَفْتَحُ لَكَ قَلْبَهُ، وَيَجْرِي بَيْنَكُمَا تَعَارُفٌ وَمَوَدَّةٌ، مَا مِنْ  
ذَلِكَ بُدُّ.

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: «اعْلَمْ أَنَّهُ سَتَمُرُّ عَلَيْكَ أَحَادِيثٌ تُعْجِبُكَ: إِمَّا مَلِيحَةٌ، وَإِمَّا رَائِعَةٌ.  
فَإِذَا أَعْجَبَتْكَ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَحْفَظَهَا؛ فَإِنَّ الْحِفْظَ مُوَكَّلٌ بِمَا مَلَحَ وَرَاعَ، وَسَتَحْرَصُ  
عَلَى أَنْ تَعْجَبَ مِنْهَا الْأَقْوَامُ. فَإِنَّ الْحِرْصَ عَلَى ذَلِكَ التَّعْجِبَ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ، وَلَيْسَ  
كُلُّ مُعْجَبٍ لَكَ مُعْجَبًا لِغَيْرِكَ»<sup>(١)</sup>.

قُلْتُ: لِيَحْرَصَ الْمَرْءُ عَلَى إِتْحَافِ السَّامِعِينَ بِمَا لَدَّ وَطَابَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، مُرَاعِيًا الْحَالَ  
وَالْمَقَامَ وَوُقُوعَهُ مِنْ نَفْسِهِمْ مَوْقِعَهُ، فَإِنَّ اشْتِهَتْ حَدِيثُهُ اسْتَهْلَ كَلَامَهُ، وَإِنْ عَافَتْ  
أَمْسَكَ.

وَلِيَحْرَصَ تَمَامَ الْحِرْصِ عَلَى الصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ، وَلِيَتَّعَدَّ عَنِ الْغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ،  
وَجَرَحِ الْمَشَاعِرِ، وَلِيَكُنْ حَدِيثُهُ جَامِعًا نَافِعًا مُفِيدًا، وَلِيَتَّعَدَّ - أَيْضًا - عَنْ سَخِيفِ  
الْحَدِيثِ وَهَزْلِهِ الَّذِي تُمَجُّهُ الْأَسَاءُ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبَاعُ.

(١) «الأدب الصغير، والأدب الكبير» (ص ١٢٣-١٢٤).

قال ابن المقفع: «إِذَا انْتَشَرَ ذَلِكَ - أَي: المَلِيحُ والرَّائِعُ - المَرَّةَ والمَرَّتَيْنِ، فَلَمْ تَرَهُ وَقَعَ مِنَ السَّامِعِينَ مَوْقِعُهُ - فَازْدَجَرَ<sup>(١)</sup> عَنِ العَوْدَةِ؛ فَإِنَّ العَجَبَ مِنْ غَيْرِ عَجِيبٍ سُخْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ رَأَيْنَا مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعلِقُ الشَّيْءَ<sup>(٢)</sup>، وَلَا يُقْلَعُ عَنْهُ، وَعَنِ الحَدِيثِ بِهِ، وَلَا يَمْنَعُهُ قِلَّةُ قَبُولِ أَصْحَابِهِ لَهُ مِنْ أَنْ يَعودَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَعودُ. ثُمَّ انظُرِ الأَخْبَارَ الرَّائِعَةَ، فَتَحْفَظُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ الإنسانَ مِنْ شَأْنِهِ الحِرْصُ عَلَى الأَخْبَارِ، وَلَا سِيَّما مَا رَاعَ مِنْهَا، فَأَكْثَرُ النَّاسِ مَنْ يُحَدِّثُ بِمَا سَمِعَ، وَلَا يُبَالِي تَمَنُّ سَمِعَ، وَذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلصِّدْقِ، وَمَزْرَاةٌ بِالْمَرْوَةِ، فَإِنَّ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُخْبَرَ بِشَيْءٍ، إِلَّا وَأَنْتَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَلَا يَكُونُ تصدِيقُكَ إِلَّا بِبُرْهَانٍ - فَافْعَلْ. وَلَا تَقُلْ كَمَا يَقُولُ السُّفَهَاءُ: أُخْبِرُ بِهَا سَمِعْتُ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ أَكْثَرُ مَا أَنْتَ سَامِعٌ، وَإِنَّ السُّفَهَاءَ أَكْثَرُ مَنْ هُوَ قَائِلٌ. وَإِنَّكَ إِنْ صَرْتَ لِلأَحَادِيثِ واعيًا وحاملاً، كان ما تَعي وتحمِلُ عَنِ العَامَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخْتَرَعُ المُخْتَرِعُ بِأَضْعَافٍ<sup>(٣)</sup>».

نَادِرَةٌ:

المَلِيحُ والرَّائِعُ مِنَ الأَحَادِيثِ فَخٌّ لِاصْطِيادِ القُلُوبِ.



(١) اُزْدَجَرَ: ارْتَدَعَ وَامْتَنَعَ.

(٢) يَعلِقُ الشَّيْءَ: يَلْزُمُهُ وَيَلْهَجُ بِهِ، وَبَابُهُ فَرِحَ.

(٣) «الأدب الصغير، والأدب الكبير» (ص ١٢٢).

## السَّخَرُ الظَّاهِرُ

إِنَّ الْهَدِيَّةَ عِلَاجُ سَاحِرٍ  
لِضَغَائِنِ الْقُلُوبِ،  
وَسَخَائِمِ النُّفُوسِ، كَمَا هِيَ  
سَبَبٌ عَظِيمٌ لِنَيْلِ الْمَحَبَّةِ،  
وَإِكْتِسَابِ الْمَوْدَّةِ.



حَدَّثَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى الْهَدِيَّةِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهَا سَبَبُ الْمَحَبَّةِ بِقَوْلِهِ: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا»<sup>(١)</sup>.  
بَلْ إِنَّهَا لَتَسُلُّ السَّخِيمَةَ<sup>(٢)</sup>، وَتَذْهَبُ بِالضَّغِينَةِ، وَتُورِثُ الْمَوْدَّةَ.  
كَمَا قِيلَ:

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حُنُوءٌ  
تُذْنِي الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى  
وَتُعِيدُ مَضْطَغِنَ الْعَدَا  
تَنْفِي السَّخِيمَةَ مِنْ ذَوِي الشَّرِّ  
وقال الأبرش:

كَالسَّخَرِ تَحْتَلِبُ الْقُلُوبَا  
حَتَّى تُصَوِّرَهُ قَرِيبَا  
وَهَ - بَعْدَ بَغْضَتِهِ - حَبِيبَا  
حَنَا، وَتَمْتَحِقُ الذُّنُوبَا<sup>(٣)</sup>  
هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ  
وَتَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ هَوَى وَوُدًّا  
مُضَايِدٌ لِلْقُلُوبِ بِغَيْرِ لَغَبٍ<sup>(٤)</sup>  
وَتَمْنَحُكَ الْمَحَبَّةَ وَالْجَمَالَ<sup>(٥)</sup>

(١) (حسن) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ  
لشواهد في «صحيح الجامع» (٣٠٠٤)، و«الإرواء» (١٦٠١).

(٢) السَّخِيمَةُ: الْحِقْدُ، وَالْجَمْعُ سَخَائِمٌ.

(٣) «روضة العقلاء» (ص ٣٩٦).

(٤) اللَّغَبُ: كَالْتَعَبِ زَنَةً وَمَعْنَى.

(٥) «روضة العقلاء» (ص ٣٩٧).

وقال استاذنا العماد - حفظه الله :-

أَلَجَمْتَنِي بِالْهَدَايَا      فِي اخْتِيَارِكَ مَا هِرُ  
 قَهَرْتُ مَا كَانَ عِنْدِي      مِنَ الضَّغَائِنِ قَاهِرُ  
 إِنَّ الْهَدِيَّةَ سِحْرٌ      لَكِنَّهُ جِدُّ ظَاهِرٌ<sup>(١)</sup>

سحر :

قال عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ رِفَاعَةَ الْفَهْمِيُّ - رحمه الله -: «الْهَدِيَّةُ هُوَ السِّحْرُ الظَّاهِرُ».  
 «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٣٩٦).



(١) «بلسم الحياة» مخطوط.



## خلاصة الأشهر

إن الثناء الحسن على الزجل  
بما فيه متى تحققت المصلحة،  
كتألفه، أو تشجيعه، أو اتقاء شره. سنة مشبعة.



والتأطر في كتاب الله يجد من الثناء الحسن من الله - سبحانه - على بعض عباده  
الصالحين - ما يملأ الصدر والنحر:  
منها قوله - سبحانه - في الثناء على نوح - عليه السلام - ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ  
عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣٠) (الإسراء: ٣).

وقوله - تعالى - في حق إبراهيم - عليه السلام - ﴿إِنِ ابْرَاهِيمَ لَسَلِيمٌ آوَاهُ مَنِيبٌ﴾ (٧٥) (هود: ٧٥).  
وقوله - تعالى - في حق سليمان - عليه السلام - ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠).  
وقوله - تعالى - في حق أيوب - عليه السلام - ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١١) (ص: ٤٤).  
وقوله - تعالى - في حق نبينا محمد - ﷺ - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) (القلم: ٤).  
وأما السنة فلو ألقينا نظرة في دواوين السنة وفي كتب المناقب، لرأينا عجباً، فقد  
مدح النبي - ﷺ - كثيراً من الصحابة<sup>(١)</sup>، فمدح بعضهم بشارة، وبعضهم لأجل  
(١) جاءت أحاديث في النهي عن المدح، كما جاءت أحاديث موصحة بالمدح، ونحن نترك المجال  
لأهل الرُسوخ في العلم، ليضعوا التقط على الحروف.

يقول النووي - رحمه الله - كما في «شرح مسلم» (ص ١٧٢١) - قبل أن يسوق أحاديث النهي ليشرحها:  
«ذكر مسلم في هذا الباب الأحاديث الواردة في النهي عن المدح، وقد جاءت أحاديث كثيرة في  
«الصحيحين» بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريقة الجمع بينهما: أن النهي محمول على المجازفة  
في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح،  
وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورُسوخ عقله ومعرفته - فلا نهى في مدحه في وجهه، إذا  
لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة: كشيء للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه،  
أو الاقتداء به - كان مستحباً، والله أعلم». أهـ

الافتداء به، وِبَعْضَهُمْ حَتَّى لَهْ عَلَى الْاِزْدِيَادِ مِنَ الْخَيْرِ<sup>(١)</sup>، وَبَعْضَهُمْ تَأَلَّفَا لِقَلْبِهِ، وَكَانَ مَدْحُهُ - ﷺ - لِبَعْضِهِمْ خَيْرًا مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ لَوْ كَانَتْ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

فَمَنْ كَانَ مَادِحًا أَخَاهُ فَلْيَقْتَدِ بِالْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ، وَلْيَحْتَسِبْ أَخَاهُ<sup>(٣)</sup>، وَلْيَحْذَرِ الشَّطَطَ<sup>(٤)</sup>.  
وَبَابُ الْمَدْحِ بَابٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَخَاصَّةُ الْعُلَمَاءِ وَالْمُرَبِّينَ؛ فَرُبَّ مَمْدُوحٍ يَنْتَفِعُ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ أَعْظَمَ مِنْ انْتِفَاعِهِ بِالذَّرْهِمِ وَالذِّينَارِ.

قال أبو الطيب:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ  
وَأَمَّا فِي اتِّقَاءِ الشَّرِّ، فَإِنَّ الْمَادِحَ يَعْمِدُ لِمَحَاسِنِ الْمَمْدُوحِ، وَيُنْثُرُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَخْلُو  
رَجُلٌ مِنْ خَيْرٍ.

(١) جاء في البخاري (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه قال: كان الرجل في حياة النبي - ﷺ - إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله - ﷺ -، فتمنيت أن أرى رؤيا، فأقصها على رسول الله - ﷺ -، وكنت غلامًا شابًا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله - ﷺ -، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم؛ فجعلت أقول: أعود بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال لي: لم ترغ. فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله - ﷺ -، فقال: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل». فكان بعد لا ينأ من الليل إلا قليلا.

(٢) جاء في البخاري (٩٢٣) عن عمرو بن تغلب: أن رسول الله - ﷺ - أتى بمال، أو بسني فقسمه، فأعطى رجلاً ورجلاً، فبلغه أن الذين ترك عتبا، فحمد الله، ثم أني عليه، ثم قال: «أما بعد، فوالله، إنني لأعطي الرجل، وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب». فوالله، ما أحب أن لي بكلمة رسول الله - ﷺ - - حمر النعم.

(٣) جاء في البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) من حديث أبي بكر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا كان أحدكم مادحا صاحبه - لا محالة - فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أركي على الله أحدا، أحسبه - إن كان يعلم ذلك - كذا وكذا». ومعنى: أحسبه: أظن فيه الخير؛ لوجود الظاهر المقتضي لذلك.

(٤) الشطط - بالتحريك - : مجاوزة الحد في كل شيء.

قال العلامة ابن خزيمة - رحمه الله - : «إِنَّهُ قَدْ يُتَفَعُّ بِهِ - أَي: الْمَدْحِ - فِي الْإِقْصَارِ عَنِ الشَّرِّ، وَالتَّرِيدِ مِنَ الْخَيْرِ، وَفِي أَنْ يَرْغَبَ فِي ذَلِكَ الْخُلُقِ الْمَمْدُوحِ. وَلَقَدْ ضَحَّ عِنْدِي: أَنْ بَعْضَ السَّائِسِينَ لِلدُّنْيَا لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَذَى لِلنَّاسِ، وَقَدْ قُلِدَّ بَعْضَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ، فَقَابَلَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَبِأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ شُكْرَهُ مُسْتَفِيضًا، وَوَصَفَهُ بِالْجَمِيلِ وَالرَّفِيقِ مَنْتَشِرًا، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى إِقْصَارِ ذَلِكَ الْفَاسِقِ عَنِ كَثِيرٍ مِنْ شَرِّهِ»<sup>(١)</sup>.  
وَلِيَحْذَرَ الْمَادِحُ مِنْ أَنْ يَشُوبَ<sup>(٢)</sup> مَدْحَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ صِفَةٌ أَهْلِ الْمَلَقِ<sup>(٣)</sup>، بَلْ هُوَ ذَمٌّ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

قال الزمخشري - رحمه الله - :

«رُبَّ مَوْصُوفٍ بِالْمَكَارِمِ وَالْمَسَاعِي<sup>(٤)</sup> وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِالْمَكَارِهِ وَالْمَسَاوِي<sup>(٥)</sup>، وَمَنْعُوتٌ بِالْحِلْمِ الرَّاسِي، وَالْعِلْمِ الرَّاسِخِ<sup>(٦)</sup>، وَهُوَ مِنْهُمَا عَلَى أَمْيَالٍ وَفِرَاسِخٍ<sup>(٧)</sup>، حَسْبُكَ بِهَذَا الشَّطْطُ مُسْتَنْزَلًا لِلْسَّخَطِ»<sup>(٨)</sup>.  
وقال العلامة - ابن خزيمة - - رحمه الله - :

«أَبْلَغَ فِي ذَمِّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ؛ لِأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى نَقْصِكَ، وَأَبْلَغَ فِي مَدْحِكَ مَنْ ذَمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ؛ لِأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى فَضْلِكَ»<sup>(٩)</sup>.  
وسَمِعَ ابْنَ الرُّومِيِّ رَجُلًا يَصِفُ رَجُلًا، وَيُبَالِغُ فِي مَدْحِهِ.

(١) «الأخلاق والسير» (ص ١٢١).

(٢) الشُّوبُ: الْخَلْطُ، وَبِأَنَّهُ قَالَ.

(٣) الْمَلَقُ - بِالْتَّحْرِيكِ - : أَنْ تُعْطِيَ بِاللِّسَانِ مَا لَيْسَ فِي الْقَلْبِ.

(٤) الْمَسَاعِي: جَمْعُ مَسْعَاةٍ، وَهِيَ الْمَكْرَمَةُ وَالْمَعْلَاةُ فِي أَنْوَاعِ الْمَجْدِ وَالْجُودِ.

(٥) الْمَسَاوِي: الْعِيُوبُ.

(٦) الرَّاسِخُ: الْبَالِغُ الرَّسُوخِ، وَهُوَ الثَّبَاتُ.

(٧) فِرَاسِخٌ: جَمْعُ فِرَاسِخٍ، وَهُوَ مِقْيَاسٌ قَدِيمٌ لِلْمَسَافَةِ، وَيَقْصِدُ: أَبْعَادًا كَثِيرَةً.

(٨) «أطواق الذهب» (ص ١٨١).

(٩) «الأخلاق والسير» (ص ١١٤).

فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَا وَصَفْتَ أَمْرًا لَأَمْرِيءِ  
فَإِنَّكَ إِنْ تَغَلُّتَ تَغَلُّ الظُّنُو  
فَيَضُؤُلُ<sup>(٥)</sup> مِنْ حَيْثُ عَظَمَتُهُ  
فَلَا تَغَلُّ<sup>(٢)</sup> فِي وَضْفِهِ وَأَقْصِدِ<sup>(٣)</sup>  
نُ فِيهِ إِلَى الْأَمْدِ<sup>(٤)</sup> الْأَبْعَدِ  
لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ<sup>(٦)</sup>

جَمَانُ

إِذَا أَعْيَتِ الْقُلُوبُ مَفَاتِيحَهَا، فَعَالِجُهَا بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ.



(١) الغُلُوُّ: مُجَاوِزُ الْحَدِّ، وَبَابُهُ سَمًا.

(٢) الْقَصْدُ: ضِدُّ الْإِفْرَاطِ كَالْاِقْتِصَادِ، وَبَابُهُ ضَرَبَ.

(٣) الْأَمْدُ بِالتَّحْرِيكِ: الْعَايَةُ وَالْمُنْتَهَى.

(٤) يَضُؤُلُ: يَحْقُرُ، وَبَابُهُ ظَرْفُ.

(٥) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِينِ» (ص ٣١٧).

## أَطْيَبُ الطَّيِّبِ

إِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تَنْدُلُ  
عَلَى طَيِّبَةِ قَائِلِهَا، وَطَهَارَةِ  
مَعْدِنِهِ، وَأَصَالَةِ نَفْسِهِ  
﴿وَالَّذِي حَبِثَ لَآ يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨).



أَوْصَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عِبَادَهُ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ، فَقَالَ:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣).

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

وَوَفَّقَهُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلْكَلامِ الطَّيِّبِ، قَالَ - تَعَالَى -:

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج: ٢٤).

وَأَمَرَهُمْ بِالذَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَقَالَ:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: ٣٤).

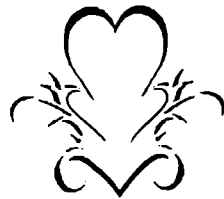
وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْ جُمْلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَقَالَ:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

## نتيجة :

قال رسول الله - ﷺ - : «والكلمة الطيبة صدقة».

(رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) عن أبي هريرة - رضي الله عنه -).



## ضجيج البخر

إن خفض الصوت ذليل الشكينة  
والوقار، وزينة لصاحبه،  
وما عبّر الإنسان عن طيشه بمثل  
الجدّة والغلظة والزعاق.



من توجيه لقمان الحكيم لابنه غَضَّ الصَّوْتِ وَتَقْصِيرُهُ، قال الله - سبحانه وتعالى -  
على لسانه: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) ﴿(لقمان: ١٩).

قال ابن سفيان - رحمه الله - في تفسيرها: «﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أَدْبًا مَعَ النَّاسِ وَمَعَ  
اللهِ، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أَي: أَفْظَعَهَا وَأَبْشَعَهَا ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، فَلَوْ كَانَ فِي رَفْعِ  
الصَّوْتِ فَائِدَةٌ وَمُصْلِحَةٌ، لَمَا اخْتَصَّ بِذَلِكَ الْحِمَارُ الَّذِي قَدْ عَلِمَتْ خِسَّتُهُ وَبِلَادَتُهُ» (١).

فتبين لك أن خفض الصوت أدب عزيز، وهو أدب حملة القرآن.

قال ابن مسعود - رحمه الله -: «يُنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا، حَكِيمًا حَلِيمًا  
سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا، وَلَا غَافِلًا، وَلَا صَخَّابًا، وَلَا صِيَّاحًا،  
وَلَا حَدِيدًا» (٢) (٣).

وَالنَّاطِرُ إِلَى الْبَحْرِ يَجِدُ الصَّخْبَ وَالضَّجِيجَ عَلَى الشَّاطِئِ وَعِنْدَ الصُّخُورِ، حَيْثُ  
المَاءُ (٤) ضَحْلٌ، لَا جَوَاهِرَ فِيهِ وَلَا دُرَرَ، وَيَجِدُ الْهُدُوءَ لَدَى الْمَاءِ الْأَعْمَقِ، حَيْثُ نَفَائِسُ  
الْبَحْرِ وَكُنُوزُهُ، وَفِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: «المَاءُ الْأَعْمَقُ أَهْدَأُ».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٤٩).

(٢) الحديد: يعني الشديد الغليظ.

(٣) «الفوائد» لابن القيم (ص ١٤٤).

(٤) الضحّل - بالفتح -: الماء القليل على الأرض لا عمق له، والجمع أضحال، وضحول، وضحال.

قال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله - :

أَرَى الْبَحْرَ حَيْثُ الْعُمُقُ وَالِدُرُّ هَادِنًا      وَيُلْقَى ضَجِيحُ الْبَحْرِ عِنْدَ السَّوَاهِلِ  
فَكُنْ هَادِنًا طَبْعًا، تَكُنْ ذَا مَهَابَةٍ      وَلَا تَرْفَعَنَّ الصَّوْتِ عِنْدَ التَّجَادُلِ  
فَصَوْتُكَ لَا يُعْطِيكَ قُوَّةَ حُجَّةٍ      وَغَضُّكَ لَا يُرْدِيكَ<sup>(١)</sup> بَيْنَ الْأَرَادِلِ  
فَعَقِلْ الْفَتَى عُنْوَانَهُ فِي لِسَانِهِ      وَعِلْمُ الْفَتَى يُعْلِيهِ عَن كُلِّ سَافِلٍ<sup>(٢)</sup>

عَسَجَدُ :

قال ابن دُرَيْدٍ - رحمه الله - : «لَوْ كَانَ رَفَعُ الصَّوْتِ خَيْرًا، مَا جَعَلَهُ اللَّهُ  
لِلْحَمِيرِ».

(«زاد المسير» لابن الجوزي (٦/٣٢٣).



(١) لَا يُرْدِيكَ: لَا يَهْلِكُكَ.

(٢) «بلسم الحياة» مخطوط.

## رأس الحكمة

إِنَّ الضَّمَّتْ حِكْمَةً، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ،  
يُكْسَبُ صَاحِبَتَهُ الْمَهَابَةَ وَالْوَقَارَ،  
وَيَكْتَسِبُ حَدِيثَهُ ثَوْبَ الْبَهَاءِ وَالْجَلَالِ،  
وَيُخَلِّيهِ بِحِلْيَةِ الْإِعْتِبَارِ.



يُخْبِرُنَا اللَّهُ - سبحانه وتعالى - أَنَّ كَثِيرًا مَّا يَتَنَاجَى بِهِ النَّاسُ مَتَى عَرِيٍّ مِنَ الْفَائِدَةِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ.

قال - تعالى - : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).  
والى ذلك أُرشدنا النبي - ﷺ - كما في «الصَّحِيحِينَ»<sup>(١)</sup> مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

قال النووي - رحمته - : «اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنِ جَمِيعِ الْكَلَامِ، إِلَّا كَلَامًا ظَهَرَتْ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ الْمُبَاحُ وَتَرَكُهُ فِي الْمَصْلَحَةِ، فَالْسُّنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْعَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدها شَيْءٌ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ - غفر الله له - : «خَيْرُ اللِّسَانِ الْمَخْرُوزُ»<sup>(٣)</sup>، وَخَيْرُ الْكَلَامِ الْمَوْزُونُ»<sup>(٤)</sup>،  
فَحَدَّثْتُ إِذَا حَدَّثْتُ بِأَفْضَلِ مِنَ الصَّمْتِ، وَزَيْنَ حَدِيثِكَ بِالْوَقَارِ وَحُسْنِ السَّمْتِ،

(١) رواه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧).

(٢) «رياض الصَّالِحِينَ» (ص ٣٩١).

(٣) المخرزون: المحفوظ عن التكلم بما لا يليق.

(٤) الموزون: المنتقى المُحْكَم.



وَأَرْسِلْ حَدْسَكَ<sup>(١)</sup> لِكَلِمَاتِكَ فِي اتِّسَاقٍ<sup>(٢)</sup> أَنْيَابِ السَّمْهَرِيِّ<sup>(٣)</sup>، وَلَا تَقْرَعْ فِي إِرْسَالِهَا  
ظَنَابِيبَ<sup>(٤)</sup> الْمَهْرِيِّ<sup>(٥)</sup>، إِنَّ الطَّيِّشَ فِي الْكَلَامِ يُتَرَجِّمُ عَنْ خِيفَةِ الْأَحْلَامِ<sup>(٦)</sup>، وَمَا دَخَلَ  
الرَّفْقُ شَيْئًا إِلَّا زَانَهُ<sup>(٧)</sup>، وَمَا زَانَ الْمُتَكَلِّمَ إِلَّا الرِّزَانَةَ<sup>(٨)</sup>»<sup>(٩)</sup>.

وَقَالَ بَفْضِ الْبُلْفَاءِ: «الزَّمِ الصَّمْتِ؛ فَإِنَّهُ يُكْسِبُكَ صَفْوَ الْمَحَبَّةِ، وَيُؤْمِنُكَ سُوءَ الْمَغَبَّةِ»<sup>(١٠)</sup>،  
وَيُلْبِسُكَ ثَوْبَ الْوَقَارِ، وَيَكْفِيكَ مَثُونَةَ<sup>(١١)</sup> الْإِعْتِذَارِ<sup>(١٢)</sup>.

وَقَالَ بَفْضِ الْفُصْحَاءِ: «اعْقِلْ لِسَانَكَ إِلَّا عَنِ حَقِّ تَوْضُّحِهِ، أَوْ بَاطِلِ تَدْحِضِهِ، أَوْ حِكْمَةِ  
تَنْشُرُهَا، أَوْ نِعْمَةِ تَذَكُّرُهَا»<sup>(١٣)</sup>.

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ، وَالسُّكُوتُ جَمَادٌ  
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادٌ<sup>(١٤)</sup>

(١) الْحَدْسُ بِالْفَتْحِ: التَّخْمِينُ وَالتَّوَهُّمُ فِي مَعَانِي الْكَلَامِ وَالْأُمُورِ.

(٢) اتِّسَاقٌ: انْتِظَامٌ.

(٣) السَّمْهَرِيُّ: الرُّمْحُ الصُّلْبُ، وَالْمَنْسُوبُ إِلَى سَمَهْرِ زَوْجِ رُدَيْنَةَ وَكَانَا مُتَّقِفَيْنِ لِلرَّمَاكِ، أَوْ إِلَى قَزِيَّةِ  
بِالْحَبَشَةِ.

(٤) ظَنَابِيبٌ: جَمْعُ ظَنْبُوبٍ - بَزَنَةٌ عَضْفُورٌ -، وَهُوَ حَرْفُ الْعَظْمِ الْيَابِسِ مِنَ السَّاقِ، وَالرَّجُلُ يَقْرَعُ ظَنْبُوبَ  
بَعِيرِهِ إِذَا أَنَاخَهُ؛ لِيَرَكِبَهُ زُكُوبَ الْمُسْرَعِ إِلَى الشَّيْءِ.

(٥) الْمَهْرِيُّ: الْبَعِيرُ الْمَنْسُوبُ إِلَى مَهْرَةَ اسْمِ قَبِيلَةِ يَمَانِيَّةٍ، تَقَعُ جَنُوبَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَيْنَ حَضْرَمَوْتِ وَعُمَانَ.

(٦) الْأَحْلَامُ: الْعُقُولُ، وَاحِدُهَا حِلْمٌ - بِالْكَسْرِ -، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى حُلُومٍ.

(٧) زَانَهُ: زَيْنَهُ وَجَمَلَهُ، وَبَابُهُ بَاعٌ.

(٨) الرِّزَانَةُ: ضِدُّ الْخِيفَةِ.

(٩) «أَطَوَاقُ الذَّهَبِ» (ص ١٦٢).

(١٠) الْمَغَبَّةُ: عَاقِبَةُ الشَّيْءِ.

(١١) الْمَثُونَةُ: الثَّقَلُ.

(١٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ» (ص ٢٧٧).

(١٣) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (ص ٢٧٧).

(١٤) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ» (ص ٢٧٦).

وَمِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلَ فِي الصَّمْتِ قَوْلُ الْأَعْوَرِ الشَّنِيِّ:

وَكَائِنٌ<sup>(١)</sup> تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ      زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ  
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ، وَنِصْفُ فُؤَادِهِ      فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَاللَّدَمِ<sup>(٢)</sup>

يَا قُوتُ ،

قال وهب بن منبه - رحمه الله - : «أجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت».

(السَّمْتُ فِي الصَّمْتِ) لِلشُّيْطَانِيِّ (ص ٢٤).



(١) كَائِنٌ: لُغَةٌ فِي كَائِنِ النَّبِيِّ بِمَنْزِلَةِ كَمِ الْخَبْرِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَكْثِيرِ الْمَعْدُودِ.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٦).

## فُضُولُ الْمَنْطِقِ

إِنَّ فُضُولَ الْكَلَامِ مَضَلَّةٌ  
لِلْفَهْمِ، مَكْتَسِبَةٌ لِلْوَهْمِ؛  
لَأَنَّ مَنْ قَلَّ كَلَامُهُ كَثُرَ  
ضَوَائِبُهُ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ فَضَوَائِبُهُ  
نَزَرَ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.



فُضُولُ الْكَلَامِ مِمَّا يُزِرِي بِصَاحِبِهِ، وَيُكْسِبُهُ النَّقْصَ؛ لِأَنَّ فُضْلَاءَ النَّاسِ يَكْرَهُونَ  
مَنْ هَذَا حَالُهُ، وَتَلَعَنَهُ قُلُوبُهُمْ<sup>(٣)</sup>، وَمَنْ مَنَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ؟  
وَالنَّبِيُّ - ﷺ - يَقُولُ: «وَأِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ - أَسْوَأُكُمْ أَخْلَاقًا:  
الْتَرْتَارُونَ<sup>(٤)</sup>، الْمُتَفَتِّهُونَ<sup>(٥)</sup>، الْمُتَشَدِّقُونَ<sup>(٦)</sup>»<sup>(٧)</sup>.

قال الماوردی - رحمه الله -: «قال أبو عثمان الجاحظ: للكلام غاية، ولنشاط السامعين  
نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستئصال والملاال - فذلك الفاضل  
هو الهدر<sup>(٨)</sup>».

- (١) فُضُولٌ: جَمْعُ فَضْلٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهُوَ مَا زَادَ عَنِ الْحَاجَةِ.
- (٢) التَّرْتَارُ - بِالْفَتْحِ -: الْقَلِيلُ.
- (٣) تَلَعَنَهُ قُلُوبُهُمْ أَي: تَبَغَضُهُ.
- (٤) التَّرْتَارُ: هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ تَكَلَّفًا فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.
- (٥) الْمُتَفَتِّهِيُّ: أَضْلُهُ مِنَ الْفَهْمِ، وَهُوَ الْإِمْتِلَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلَأُ فَمَّهُ بِالْكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِبُ بِهِ تَكْبِيرًا وَارْتِفَاعًا، وَإِظْهَارًا لِلْفَضِيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ.
- (٦) الْمُتَشَدِّقُ: الْمُتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ، الْمُتَكَلِّمُ بِمِلءِ فِيهِ تَفَضُّحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ.
- (٧) (حسن) أخرجه أحمد (٤/١٩٣)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٠١٨) عن جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٧٩١).
- (٨) الْهَدْرُ - بفتح الحين -: سَقَطُ الْكَلَامِ.

وَصَدَقَ أَبُو عَثْمَانَ؛ لِأَنَّ الْإِكْتِثَارَ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ صَوَابًا - يُمِلُّ السَّامِعَ، وَيُكِلُّ الْخَاطِرَ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ صَادِرٌ عَنِ إِعْجَابٍ بِهِ، لَوْلَا هُ قَصَرَ عَنْهُ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِكَلَامِهِ اسْتَرْسَلَ فِيهِ، وَالْمُسْتَرْسِلُ فِي الْكَلَامِ كَثِيرُ الزَّلَلِ، دَائِمُ الْعِثَارِ<sup>(٢)</sup>.  
وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكْمِ: «إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ، نَقَصَ الْكَلَامُ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ بَغُضُ الْبُلْغَاءِ: «عِيٌّ<sup>(٤)</sup> تَسَلَّمَ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقِ تَنْدَمٍ عَلَيْهِ؛ فَاقْتَصَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَكَ، وَيَبْلُغُ حَاجَتَكَ، وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ؛ فَإِنَّهُ يُزِلُّ الْقَدَمَ، وَيُورِثُ النَّدَمَ»<sup>(٥)</sup>.  
وَقَالَ الْقَاسِمِيُّ - ~~رحمته~~ -: «إِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَّنَ، وَيُحَرِّكُ مِنْ عَدْوِكَ مَا سَكَنَ، فَكَلَامُ الْإِنْسَانِ بَيَانُ فَضْلِهِ، وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ؛ فَاقْصُرْهُ عَلَى الْجَمِيلِ، وَاقْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ»<sup>(٦)</sup>.  
وَقَالَ بَغُضُ الشُّعْرَاءِ:

إِنَّ الْكَلَامَ يَغُرُّ الْقَوْمَ جِلْوَتُهُ<sup>(٧)</sup>      حَتَّى يَلِجَ<sup>(٨)</sup> بِهِ عِيٌّ وَإِكْتِثَارُ<sup>(٩)</sup>  
وَقَالَ ابْنُ بِلَالِ الْأَنْصَارِيِّ:

وَلَنْ يَهْلِكَ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِذَا أَتَى      مِنْ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَرْضَهُ نَصْحَاؤُهُ  
فَأَقْلِلْ إِذَا مَا قُلْتَ قَوْلًا؛ فَإِنَّهُ      إِذَا قَلَّ قَوْلُ الْمَرْءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ<sup>(١٠)</sup>

(١) يُكِلُّ الْخَاطِرَ: يُتَعَبُّهُ وَيُعْيِيهِ.

(٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» (ص ٢٧٩).

(٣) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (ص ٢٧٩).

(٤) الْعِيٌّ - بِالْكَسْرِ - : الْحَصْرُ وَثِقَلُ اللِّسَانِ.

(٥) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» (ص ٢٧٩ - ٢٨٠).

(٦) «جَوَامِعُ الْأَدَبِ وَالْأَخْلَاقِ» (ص ٦).

(٧) جَلْوَةُ الشَّيْءِ - بِالتَّثْنِيَةِ - : عَرَضُهُ مَجْلُوءًا مَكْشُوفًا.

(٨) يَلِجُ: يَدْخُلُ، وَبَابُهُ جَلَسَ، وَجَلَّةٌ - أَيْضًا - .

(٩) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» (ص ٢٧٠).

(١٠) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٧٣).

جوهرة:

قال عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - «بِتَرْكِ الْفُضُولِ تَكْمُلُ الْعُقُولُ».  
 (تهنئة المجالس) لابن عبد البر (١/ ٦١).



## حُسْنُ الْخُلُقِ

إِنَّ مَنْ رَزَقَ الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ  
تَرَأْسَ وَسَادٍ، وَأَخْبَهُ  
الْعِبَادَ، وَفَتَحَتْ لَهُ الْقُلُوبَ.



حُسْنُ الْخُلُقِ شَيْءٌ هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلُوقٌ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ، وَمُعَامَلَةٌ بِالْحُسْنَى<sup>(١)</sup>.  
عَامِلِ النَّاسِ بِخُلُقٍ رَقِيقٍ وَالْقَ مَنْ تَلَقَى بِوَجْهِهِ طَلِيقٌ  
فَإِذَا أَنْتَ جَمِيلُ الثَّنَاءِ وَإِذَا أَنْتَ كَثِيرُ الصَّدِيقِ  
وَمَنْ جَهَلَ مَعْرِفَتَهُ، فَلْيَقْتَدِ بِالْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ، وَالرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ،  
وَأَحْوَالِهِ.

قال ابن خزم - رحمه الله -: «مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعَدَلَ السَّيْرَةَ، وَالِاخْتِوَاءَ  
عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ كُلِّهَا، وَاسْتَحْقَاقَ الْفَضَائِلِ بِأَسْرِهَا - فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ - ﷺ - ،  
وَلْيَسْتَعْمِلْ أَخْلَاقَهُ وَسِيرَهُ مَا أَمَكَنَهُ، أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِتْسَاءِ بِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ»<sup>(٢)</sup>.  
وقال ابن القيم - رحمه الله -: «جَمَعَ النَّبِيُّ - ﷺ - بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ لِأَنَّ  
تَقْوَى اللَّهِ تُصْلِحُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُصْلِحُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَتَقْوَى  
اللَّهِ تُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر «الأخلاق بين الطبع والتطبع» للمؤلف، ففيه بيان ما أجمل ها هنا، وفق الله الجميع للعلم  
النافع، والعمل الصالح.

(٢) «الأخلاق والسيرة» (ص ٩١).

(٣) «الفوائد» (ص ٧٥).

قُلْتُ: مَا رُزِقَ أَحَدٌ - بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ - خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ؛ فَإِنَّ «فِي سَعَةِ الْأَخْلَاقِ كُنُوزَ الْأَرْزَاقِ»، وَلِلَّهِ ذُرٌّ حَافِظٌ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ:

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةٌ<sup>(١)</sup> مَحْمُودَةٌ فَالِنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ، وَذَا وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدَّخِرْهُ مُحَصَّنًا وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ<sup>(٢)</sup> لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ فَقَدْ اضْطَفَاكَ مُقَسَّمُ الْأَرْزَاقِ عِلْمٌ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ بِالْعِلْمِ، كَانَ نَهَايَةَ الْإِمْلَاقِ<sup>(٣)</sup> تُعْلِيهِ، كَانَ مَطِيئَةَ الْإِخْفَاقِ مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ<sup>(٤)</sup> بِخَلَاقِ<sup>(٥)</sup>؛<sup>(٦)</sup>

مَرْجَانٌ :

قال الماوردی - رحمه الله - :

«إِذَا حَسُنَتْ أَخْلَاقُ الْإِنْسَانِ، كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ؛ فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ الصَّعَابُ، وَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغَضَابُ».

(أدب الدنيا والدين) (ص ٢٤٣).



(١) الخليفة: الخلق، والجمع خلائق.

(٢) الإملاق: الفقر، يُقال: أَمْلَقَ الرَّجُلُ: إِذَا افْتَقَرَ.

(٣) الشمائيل: الأخلاق، مُفْرَهَا شِمَالٌ - بِالْكَسْرِ - .

(٤) رَبُّهُ: صَاحِبُهُ، وَالْجَمْعُ أَرْبَابٌ.

(٥) بِخَلَاقٍ - بفتح الخاء - أَي: بِنصيبٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

(٦) «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (ص ٤٩٥).

## حُسْنُ السَّمْتِ

إِنَّ حُسْنَ السَّمْتِ يُورِثُ صَاحِبَهُ  
فَاهِمَ الْوَجَاهَةِ وَالْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ،  
كَمَا يَخْلِيهِ بِحَلِيَةِ الْوَقَارِ.



حُسْنُ السَّمْتِ: هُوَ الْمَظْهَرُ الْخَارِجِيُّ لِلْإِنْسَانِ: مِنْ طَرِيقِ الْحَدِيثِ وَالصَّمْتِ، وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَالذُّخُولِ وَالخُرُوجِ، وَالسَّيْرَةَ الْعَمَلِيَّةَ فِي النَّاسِ، بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ مَنْ يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ أَنْ يَنْسِبَهُ إِلَى أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالذِّيَانَةِ وَالْفَلَاحِ<sup>(١)</sup>. وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ<sup>(٢)</sup>، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ<sup>(٣)</sup>، وَالْاِقْتِصَادَ<sup>(٤)</sup> - جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ<sup>(٥)</sup>». وَفَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ هَذِهِ الْخِلَالَ مِنْ شَمَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ جُمْلَةِ خِصَالِهِمْ، وَأَنَّهَا جُزْءٌ مَعْلُومٌ مِنْ أَجْزَاءِ أفعالِهِمْ<sup>(٦)</sup>.

فَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ السَّمْتَ الْحَسَنَ هُوَ الْمَظْهَرُ الْخَارِجِيُّ لِلْإِنْسَانِ؛ فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ تَكُونَ لَهُ

(١) «نَضْرَةُ النَّعِيمِ» (١٥٨٨/٥).

(٢) الْهَدْيِ: السَّيْرَةُ وَالطَّرِيقَةُ.

(٣) السَّمْتُ: حُسْنُ الْمَظْهَرِ فِي أَمْرِ الدِّينِ.

(٤) الْاِقْتِصَادُ: التَّوَسُّطُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُحْمَدُ فِيهِ التَّوَسُّطُ.

(٥) حَسَنٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٩٦/١)، وَأَبُو دَاوُدَ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٤٧٧٦)، وَالْبَخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»

(٢٦٧)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٩٩٣).

(٦) «الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» لِابْنِ مُفْلِحٍ (٤٢/٢). انظُرْ «التَّاجَ الْمَفْقُودَ» لِلْمُؤَلِّفِ، فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ لِهَذَا



عِنَايَةٌ خَاصَّةٌ بِمَظْهَرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ مَيْلِ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ، وَلَوْ تَحَلَّى بِهِ غَيْرُ أَهْلِهِ<sup>(١)</sup>،  
كَمَا قِيلَ: «الْحَلِيَّةُ فِي الظَّاهِرِ تَدُلُّ عَلَى مَيْلِ البَاطِنِ».

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ المَظْهَرِ مِنْ أَسْبَابِ مَيْلِ الْقُلُوبِ مَا رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ  
- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذاتِ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا  
رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا  
أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»<sup>(٢)</sup>.

فَالْحِكْمَةُ مِنْ مَجِيءِ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِهَذِهِ الهَيْئَةِ الحَسَنَةِ: أَنْ يَعْظُمَ اتِّجَاهُهُمْ إِلَيْهِ، وَإِجْلَاهُمْ  
لَهُ، وَإِصْغَاؤُهُمْ لِمَا يَقُولُ.

حَسَنُ ثِيَابِكَ مَا اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّهَا	زَيْنُ الرِّجَالِ بِهَا تَعَزُّ وَتُكْرَمُ
وَدَعَ التَّخْشِينَ فِي الثِّيَابِ تَوَاضَعًا	فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّ وَتَكْتُمُ
فَجَمِيلُ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَمَا	تَخْشَى الإِلَهَ، وَتَتَّقِي مَا يُجْرِمُ
وَرِثَاكَ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ رِفْعَةً	عِنْدَ الإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمُ

وَلْيَلْبَسِ المرءُ مَا اعْتَادَهُ أَهْلُ بَلَدَتِهِ، وَخَاصَّةً أَهْلَ العِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالدِّينِ، وَلَا عِبْرَةَ  
بِهَا دُونَهُمْ، وَلِلْمُعَسِّرِ قَدْرُهُ، وَلِلْمُوسِرِ قَدْرُهُ، وَلَا يَتْرِكِ العِمَامَةُ<sup>(٣)</sup>؛ فَإِنَّ «هَدْيَ السَّلَفِ

(١) قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي «الْفَنُونِ» (٣١٦/١): «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ لَهُ سَمْتُ، وَعَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنْ تَوَاضِعٍ  
وَذُلٍّ، فَمَتَى خَاصَمَهُ مِنْ عَلَيْهِ سِيْمَا الجَلَادَةِ، كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مَعَ صَاحِبِ السَّمْتِ؛ لِمَا يَغْلِبُ عَلَى  
ظَنِّهِمْ مِنْ ضَعْفِ ذَلِكَ السَّمْتِ وَوَقَارِهِ، وَفَوْرَةِ ذَلِكَ الجَلْدِ وَتَسْلِطِهِ، فَكَانَ مُخَاصِمُ ذَلِكَ السَّمْتِ  
مُعِينًا عَلَى نَفْسِهِ، حَيْثُ حَمَلَ النَّاسَ بِخُصُومَتِهِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَمَنْ خَاصَمَ النَّاسَ خُصِمَ».

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨).

(٣) «حَاشِيَةُ البَيْجَرَمِيِّ فِي فِقْهِ الشَّافِعِيِّ» (٥٥/١).

(٤) قَالَ الألبَانِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي «تَمَامِ المَنَّةِ» (ص ١٦٤): «لَيْسَ مِنَ الهَيْئَةِ الحَسَنَةِ فِي عُرْفِ السَّلَفِ اعْتِيَادُ  
حَسْرِ الرَّأْسِ، وَالسَّيْرِ كَذَلِكَ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَالدُّخُولِ كَذَلِكَ فِي أَمَاكِنِ العِبَادَاتِ، بَلْ هَذِهِ عَادَةٌ أَجْنِبِيَّةٌ،  
تَسَرَّبَتْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ حِينَمَا دَخَلَهَا الكُفَّارُ، وَجَلَبُوا إِلَيْهَا عَادَاتِهِمُ الفَاسِدَةَ، فَقَلَدَهُمُ  
المُسْلِمُونَ فِيهَا، فَأَضَاعُوا بِهَا - وَبِأَمْثَالِهَا مِنَ التَّقَالِيدِ - شَخْصِيَّتَهُمُ الإِسْلَامِيَّةَ».

الصَّالِحِ الحِرْصُ عَلَى غِطَاءِ الرَّأْسِ، وَلَمْ يَنْبُتْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ حَاسِرًا<sup>(١)</sup>.  
وَلِيَخْرِصَ عَلَى الطَّيِّبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ فِي دَلِّهِ<sup>(٢)</sup> وَهَدْيِهِ  
وَسَمْتِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ.

«حُبَّ إِلَى مَنْ دُنْيَاكُمْ: النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان - ﷺ -: «لَا يَرُدُّ الطِّيبُ»<sup>(٤)</sup>. وَنَهَى عَنْ رَدِّهِ: «مَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ، فَلَا  
يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمَلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ»<sup>(٥)</sup>.

لَوْ كُنْتُ أَحْمِلُ جَمْرًا حِينَ زُرْتُمْ لَمْ يُنْكِرِ الكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ  
لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ المِسْكِ يَقْدُمُنِي وَالْعَنْبَرُ النَّدُّ مَشْبُوبٌ<sup>(٦)</sup> عَلَى النَّارِ

#### ثَمَرَةٌ:

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «قَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَقْصِدُونَ العَبْدَ  
الصَّالِحَ لِلنَّظَرِ إِلَى سَمْتِهِ وَهَدْيِهِ، لَا لِاقْتِبَاسِ عِلْمِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ثَمَرَةَ عِلْمِهِ  
هَدْيُهُ وَسَمْتُهُ». (صَيْدُ الخَاطِرِ) (ص ٢١٦).



(١) «المروءة وخوازمها» لمشهور بن حسن (ص ١٤٥)

(٢) الدَّلُّ - بالفتح -: قَرِيبُ المَعْنَى مِنَ الهَدْيِ، وَهُمَا مِنَ السَّكِينَةِ وَالوَقَارِ فِي الهَيْئَةِ، وَالمنظَرِ، وَالشَّمَائِلِ،  
وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (١٢٨/٣) عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

(٤) رواه البخاري (٢٥٨٢) عن أنس - رحمه الله -.

(٥) رواه مسلم (٢٢٥٣) عن أبي هريرة - رحمه الله -.

(٦) مَشْبُوبٌ: مُوقَدٌ، وَبَابُ شَبَّ رَدًّا، وَشُبُوبًا - أَيْضًا - بِالضَّمِّ -.

## حُسْنُ الْإِسْتِمَاعِ

إِنْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ بِنَ يُحَدِّثُكَ  
بِالْأُذُنِ، وَالْإِقْبَالَ بِالْعَيْنِ، وَخُضُورِ  
الْقَلْبِ، وَإِشْرَاقَةَ الْوَجْهِ. يُقَرَّرُ  
لَكَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْفَضْلِ  
فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَحُطُّ إِلَيْهَا نَفْسُكَ.



أَلْبَاءُ<sup>(١)</sup> الرَّجَالِ يَقْضُونَ هَذَا الْحَقَّ، تَجِدُ أَحَدَهُمْ يُصْغِي لِمُحَدِّثِهِ إِصْغَاءً مَنْ لَا يَعْرِفُ  
الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِ، وَإِنْ كَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنْ قَائِلِهِ.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :-

«جَلِيسِي عَلِيٌّ ثَلَاثٌ: أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ، وَأَنْ أَوْسَعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ إِذَا جَلَسَ،  
وَأَنْ أَصْغِيَ إِلَيْهِ إِذَا تَحَدَّثَ»<sup>(٢)</sup>.

إِنْ أَنْتَ جَالَسْتَ الرَّجَالَ ذَوِي النَّهْيِ<sup>(٣)</sup> فَاجْلِسْ إِلَيْهِمْ بِالْكَهَالِ مُؤَدِّبًا  
وَأَسْمَعْ حَدِيثَهُمْ إِذَا هُمْ حَدَّثُوا وَاجْعَلْ حَدِيثَكَ - إِنْ نَطَقْتَ - مُهْدَبًا<sup>(٤)</sup>

وَمِنْ دُرَرِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ:

«تَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ، كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ، وَمِنْ حُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ: إِمِهَالُ  
الْمُتَكَلِّمِ حَتَّى يَنْقُضِيَ حَدِيثَهُ، وَقِلَّةُ التَّلَفُّتِ إِلَى الْجَوَابِ، وَالْإِقْبَالُ بِالْوَجْهِ وَالنَّظَرُ إِلَى  
الْمُتَكَلِّمِ، وَالْوَعْيُ لِمَا يَقُولُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أَلْبَاءُ: جَمْعُ لَبِيبٍ، وَهُوَ الْعَاقِلُ الْحَازِمُ.

(٢) «عيون الأخبار» (١/٣٠٦).

(٣) النَّهْيُ: جَمْعُ نُهْيَةٍ - بِالضَّمِّ -، وَهِيَ الْعَقْلُ، سُمِّيَ الْعَقْلُ نُهْيَةً؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى صَاحِبَهُ عَنِ مُقَارَفَةِ كُلِّ قَبِيحٍ.

(٤) «عيون الأخبار» (١/٣٠٧).

(٥) «الأدب الصغير، والأدب الكبير» (ص ١٢٩ - ١٣٠).

وقال، «وإذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته، أو يخبر خبراً سمعته - فلا تشاركه فيه، ولا تتعقبه عليه؛ حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته؛ فإن في ذلك خفةً وسوء أدب وسخفاً»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عبد البر - رحمه الله - :

«من سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو أن تبذره»<sup>(٢)</sup> إلى تمام ما ابتدأ به منه، خبراً كان أو شعراً، تتم له البيت الذي بدأ به؛ تريه أنك أحفظ له منه، فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تُصغي إليه كأنك لم تسمعه - قط - إلا منه»<sup>(٣)</sup>.  
ومن أدب الاستماع - أيضاً - التعزيز والتشجيع، وهو الثناء على المتكلم، وإبداء الإعجاب والاستحسان، فإن وجد ما يجب التنبية إليه، فبأسلوب (أحسنَت ولكن)، ولا سيما مع الصغار أو المبتدئين في شعر، أو خطابة، أو مقالة، أو نحوه.  
قال استاذنا العماد:

إن لم يبن لي منك فضلك  
فلقد عرفتك يافتى  
أو لم يمر علي أضلك  
حسُن استماعك لي يجلُّك<sup>(٤)</sup>

وقال - أيضاً - :<sup>(٥)</sup>

حسُن استماعك وانتبأ  
ولقد حفظت مقالتي  
هك زاد في قلبي مهابة  
لكن رجعت إلى الكتابه  
ن خوف من الزل المشي  
ن أمام أصحاب النجابه

(١) المرجع السابق (ص ١٣٦).

(٢) تبذره: تعاجله، وبأبه دخل.

(٣) «بهجة المجالس» (١/٣٦).

(٤) «بلسم الحياة» مخطوط.

(٥) المرجع السابق .

سخراً

قال أبو تمام الطائي - جليل -

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ      وَجَهَلْتُ، كَانَ الْحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ  
 جَلَسْتُ إِلَى الْمُدَّامِ<sup>(١)</sup> شَرِبْتُ مِنْ      أَخْلَاقِهِ، وَسَكِرْتُ مِنْ آدَابِهِ  
 وَتَرَاهُ يُضْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ      وَبِقَلْبِهِ، وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ؟!

«طرائق الحكمة» (١/٧٣).



(١) المُدَّام - بَزَنَةُ الْغُرَابِ -: الْخَمْرُ.

## جُنَّة (١)

إِنْ مَنْ أَعْطَى الرَّفْقَ، فَقَدْ  
أَعْطَى الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَالرَّاحَةَ بِتَمَامِهَا،  
وَحَسَّنَ حَالَهُ فِي ذُنُوبِهِ وَأَخْرَجَتْهُ.  
وَمَنْ حَرَمَ الرَّفْقَ، كَانَ سَبِيلًا إِلَى كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ.  
الرَّفْقُ هُوَ الدَّفْعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ.



قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا  
الَّذِي يَبْدُوكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

قال ابن سغدي - رحمه الله - في قوله - تعالى - : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ :

«أَيُّ: فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِمَّنْ اخْتَلَقْتَ، خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ:  
كَالْأَقْرَبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَنَحْوِهِمْ، إِسَاءَةٌ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ - فَقَابِلُهُ بِالْإِحْسَانِ  
إِلَيْهِ، فَإِنْ قَطَعَكَ فَصِلْهُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ، وَعَامِلُهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَإِنْ هَجَرَكَ  
وَتَرَكَ خِطَابَكَ، فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ، وَابْذُلْ لَهُ السَّلَامَ، فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ،  
حَصَلَ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَالرَّفْقُ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، حَتَّى مَعَ أَكْفَرِ خَلْقِ اللَّهِ: كَفِرْعَوْنَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ  
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُخَاطَبًا نَبِيَّهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - :

﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤).

قال ابن سغدي - رحمه الله - :

«أَيُّ: سَهْلًا لَطِيفًا، بَرَفِقٍ وَلِينٍ وَأَدَبٍ فِي اللَّفْظِ، مِنْ دُونَ تَخَشُّسٍ وَلَا صَلَفٍ وَلَا غِلْظَةٍ

(١) الْجُنَّةُ - بِالضَّمِّ - : كُلُّ مَا وَقَى، وَالْجَمْعُ جُنُنٌ. وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: مَا وَقَى مِنْ طَيْشِ الطَّائِشِينَ، وَجَهْلِ  
الْجَاهِلِينَ.

(٢) «تفسير السَّعْدِيِّ» (ص ٧٤٩).

في المقال، أو فِظَاظَةٍ فِي الْأَفْعَالِ»<sup>(١)</sup>.

وَعِنْدَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لِلْيَهُودِ: «بَلِّغْ عَلَيكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ». قَالَ لَهَا الرَّسُولُ  
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى  
الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَمَتَى رَفَقْتَ بِالنَّاسِ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ، أَحَبَّكَ النَّاسُ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْكَ بِقُلُوبِهِمْ؛  
لَأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مِنَ الْبَرَكَاتِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى غَيْرِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، وَالْمَحْرُومُ  
مِنَ الْخَيْرِ مَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ.

فَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ، يُحْرِمِ الْخَيْرَ»<sup>(٣)</sup>.  
لَمْ أَرَ مِثْلَ الرَّفْقِ فِي لِيْنِهِ      أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خَدْرِهَا  
مَنْ يَسْتَعِينُ بِالرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ      يَسْتَخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا<sup>(٤)</sup>

مِنْ مَشْكَاتِ النَّبُوَّةِ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

(رواه مسلم (٢٥٩٤) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -).



(١) المرجع السابق (ص ٥٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٢).

(٤) «حياة الحيوان» (١/ ٢٧٥).

## خَفَضَ الْجَنَاحَ

إِنْ خَفَضَ الْجَنَاحَ يَكْسِبُ السَّلَامَةَ  
وَالرَّاحَةَ، وَيَثْمُرُ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ،  
وَيَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا.



قال الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٥).

قال ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللهُ -: «بَلِيْنِ جَانِبِكَ، وَلُطْفِ خِطَابِكَ، وَتَوَدُّدِكَ وَتَحَبُّبِكَ إِلَيْهِمْ، وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَالإِحْسَانِ التَّامِّ بِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وقال الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: ٦٣).

قال ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ، وَنُعُوتُهُمْ أَفْضَلُ النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، أَي: سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ وَلِلْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ»<sup>(٢)</sup>.

مِنْ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ :

قال رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَنْخَرَّ أَحَدٌ عَلَى

أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (رواه مسلم) (٢٨٦٥) عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَحِمَهُ اللهُ -.

(١) «تفسير ابن سَعْدِي» (ص ٥٩٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٨٦).



## انسس العافية

إِنَّ التَّغَافُلَ مِنْ أَخْلَاقِ  
عُظَمَاءِ الرِّجَالِ، لِأَنَّهُ  
مِنْ أَقْوَى الْقَوَى عَلَى قَهْرِ الْعَدُوِّ،  
وَمَا حَلَّ فِي نَفْسِ امْرِئٍ  
إِلَّا حَلَّتْ مِنْهُ الْعَافِيَةُ بِالْمَحَلِّ.



مَنْزِلَةُ التَّغَافُلِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ بِأَعْظَمِ الْمَنَازِلِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ أُمُورِ الْحَيَاةِ لَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا  
بِالتَّغَافُلِ.

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ زَانِدَةَ قَالَ: «الْعَافِيَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ فِي التَّغَافُلِ».

فَحَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: «الْعَافِيَةُ»<sup>(١)</sup> عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ»<sup>(٢)</sup>.

النَّبِيُّ - ﷺ - يَتَغَافَلُ عَنِ بَعْضِ الْأُمُورِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنِ بَعْضٍ﴾ (التحریم: ٣).

فَالنَّبِيُّ - ﷺ - حَدَّثَ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ بِحَدِيثٍ، وَأَوْصَاهَا أَلَّا تُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا،  
فَذَهَبَتْ وَأَخْبَرَتْ بِهِ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - ﷺ - عَلَى الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهَا، فَلَمَّا جَاءَ  
الْعِتَابُ، مَا عَاتَبَهَا عَلَى الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ، بَلْ بَيَّنَّ مَا يَسْتَحِقُّ الْبَيَانُ، وَتَغَافَلَ عَنِ بَعْضِ  
الْأُمُورِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنِ بَعْضٍ﴾.

أَخِي، أَلَا يَسْعُكَ مَا وَسِعَ نَبِيَّكَ - ﷺ - مِنْ التَّغَافُلِ؟

(١) الْعَافِيَةُ أَيَّمَا حَلَّتْ، حَلَّتْ مَعَهَا السَّلَامَةُ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ أَدَى النَّاسِ تَنْحَصِرُ أَسْبَابُهَا فِي إِظْهَارِ التَّغَافُلِ  
عَنْ شُرُورِهِمْ وَأَذَاهُمْ، يُرِيهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَفَتَّنْ لَهَا، وَلَا يَكُونُ التَّغَافُلُ إِلَّا عَنْ فِطْنَةٍ.

(٢) «الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (٢/ ١٠٤).

قال ابن الوردى - رحمه الله - :-

وَتَغَافِلَ عَن أُمُورٍ؛ إِنَّهُ لَمْ يَفْزَ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَن غَفَلَ  
وإنَّ أَرَدْتَ الشَّرْفَ، فَإِنَّ التَّغَافُلَ مِنْ مَصَائِدِهِ.

قال الطائي:

لَيْسَ الْعَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي<sup>(١)</sup>  
ولله دَرُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حِينَ قَالَ:

فَالْبَسَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ مِنَ النَّقْدِ عِشٌ وَحِيدًا إِنْ كُنْتَ لَا تَقْبَلُ الْعُدْ  
ص، وَإِلَّا لَمْ تَسْتَقِمْ لَكَ خَلَّةٌ<sup>(٢)</sup>  
ر، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُجَاوِزُ زَلَّةً<sup>(٣)</sup>

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله - :-

وَإِنِّي أَغْضُ الطَّرْفَ عَن زَلَّةِ الْفَتَى سُمُومًا بِنَفْسِي أَنْ تُجَارِيَ ذَوِي الْخَنَا  
كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ أَوْ لَمْ أَشَاهِدِ وَتَنْزِيهِ قَدْرِي عَن تَقْصِي الْمَصَائِدِ  
وَلَكِنْ حِلْمِي فَوْقَ كَيْدِ الْمَكَايِدِ<sup>(٤)</sup> وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَأْصَلْتُهُ مِنْ جُدُورِهِ

زِيَا حِينَ :

قال شبيب بن شيبه - رحمه الله - :- «العافلُ هو الفطنُ المتغافلُ».

(أدب الدنيا والدين) (ص ١٨٠).



(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٠).

(٢) الخلة - بالكسر - : المصادقة والإخاء.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٠).

(٤) «بلسم الحياة» مخطوط.

## مؤانسة

إِنَّ التَّخَيُّبَ إِلَى النَّاسِ بِشَيْءٍ  
مِنَ الْمَزَاحِ الْمَشْرُوعِ مُؤَانَسَتُهُمْ  
وَادْخَالُ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ عَلَيْهِمْ  
سُنَّةٌ مَشْرُوعَةٌ.

فَاهِم

الْمُزَاحُ هُوَ الطَّرِيقُ السَّهْلُ إِلَى الْقُلُوبِ، وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ - ﷺ - يُدَاعِبُ أَصْحَابَهُ، وَيُيَازِحُهُمْ، فَيَدْخُلُ السُّرُورَ وَالْبَهْجَةَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَطْرُدُ السَّامَةَ وَالْمَلَلَ مِنْ نَفْسِهِمْ، وَيَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِمَا يُؤَانِسُهُمْ بِهِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟! قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»<sup>(١)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنِّي لَأَدَاعِبُكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ الْمُزَاحُ فِي مَوْضِعِهِ، مُتَوَاحِيًا بِهِ فُرْصَتُهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَتَرَكَهُ أَمَحْضٌ فِي التَّكْرُمِ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ كَرِهَ الْمُزَاحَ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «وَقَدْ كَرِهَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْخَوْضَ فِي الْمُزَاحِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ ذَمِيمِ الْعَاقِبَةِ، وَمِنَ التَّوَصُّلِ إِلَى الْأَعْرَاضِ، وَاسْتِجْلَابِ الضَّغَائِنِ، وَإِفْسَادِ الْإِخَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) حَقًّا: صِدْقًا.

(٢) (صحيح) رواه الترمذي (١٩٩٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المُسند» (٢/٣٤٠، ٣٦٠)، والبعوي في «شرح السنة» (٢٦٠٢) وحسنه. وله شاهد بلفظ: «إِنِّي لَأَمَزِحُ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الكبير»، وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ الْخَطِيبِ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (٢٤٩٤) و(٢٥٠٩)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ» (١٧٢٦).

(٣) «بهجة المجالس» (٢/٥٦٩).

والجَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ كما قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ - رحمته - : «والجَمْعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْمُنْهَى عَنْهُ ما فِيهِ إِفْرَاطٌ، أَوْ مُدَاوِمَةٌ عَلَيْهِ؛ لما فِيهِ مِنَ الشَّغْلِ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَهَمَّاتِ الدِّينِ، وَيُتَوَلَّى - كَثِيرًا - إِلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَالإِيذاءِ وَالْحِقْدِ، وَسُقُوطِ المَهَابَةِ وَالوَقَارِ. وَالَّذِي يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْمُبَاحُ، فَإِنْ صادَفَ مَصْلَحَةً - مثلَ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخاطَبِ وَمُؤانَسَتِهِ - فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ»<sup>(١)</sup>.

فَعَلَيْكَ - أَخِي - أَنْ تَتَوَخَّى<sup>(٢)</sup> طِبَاعَ النَّاسِ؛ وَذلكَ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَجْرُهُ مَزْحُكَ مَعَهُ إِلَى إِيْذائِكَ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ تُمازِحَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ جِنْسِكَ، وَلَا رَجُلًا لَا يَعْرِفُكَ فَيُنزِلُكَ مَنْزِلَتَكَ، وَلَا طِفْلاً لَا يَهَابُكَ، وَلَا عَدُوًّا؛ لما يَقُودُ إِلَى مَفْسَدَةٍ تُؤْذِيكَ، وَلَا يَحْسُنُ المَزاخَ بِحَضْرَةِ العامَّةِ؛ فَرُبَّمَا كانَ فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيعٌ لَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ، فَيَجْتَرِي عَليكَ. قالَ ابنُ حَبانٍ - رحمته - : «مَنْ مازَحَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، هانَ عَلَيْهِ، وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كانَ المَزاخُ حَقًّا؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُسَلَّكَ بِهِ غَيْرُ مَسَلَكِهِ، وَلَا يُظَهَّرَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ، عَلى أَنِّي أَكرَهُ اسْتِعْمَالَ المَزاخِ بِحَضْرَةِ العامَّةِ، كما أَكرَهُ تَرَكَهُ عِنْدَ حُضُورِ الأَشْكالِ»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

وَاعْلَمْ أَنَّ المَزاخَ كالمِلْحِ فِي الطَّعامِ؛ فَاجْعَلْ لَهُ قَدْرًا، وما زادَ عَنْ حَدِّهِ انْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ.

(١) «فتح الباري» (١٢/١٥٨).

(٢) تتوخى: تراعي.

(٣) الأشكال: جمع شكل - بالفتح والكسر -، وهو المثل، ويُجمع - أيضًا - على شكول.

(٤) «روضة العقلاء» (ص ٨١).

كما قال البستي:

أَفَدَ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ<sup>(١)</sup> بِالْجِدِّ رَاحَةً      يَجْمُ<sup>(٢)</sup>، وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ  
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ، فَلْيَكُنْ      بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ<sup>(٣)</sup>

غسجد:

قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْمَرْأَحُ هُجْنَةٌ<sup>(٤)</sup>؟».

قَالَ: «بَلْ سُنَّةٌ، لَكِنَّ الشَّأْنَ فِيْمَنْ يَحْسِنُهُ، وَيَضَعُهُ مَوْضِعَهُ»

«شرح السُّنَّة» (١٣/١٨٤).



(١) المكدود: المتعب المرهق من شدة العمل.

(٢) يجم: يذهب إعياءه.

(٣) «أدب الدنيا والدين».

(٤) الهجنة - بالضم - من الكلام: ما يعيبه.

## سِيَّاسَةٌ

إِنَّ النَّاسَ بِحَاجَةٍ إِلَى سِيَّاسَةٍ  
فَاهِمٍ تُطْفِئُ نَارَ الْعَدَاوَةِ، وَتُخَمِّدُ  
جَمْرَ الْحَقْدِ، وَتَقْلِبُ الْعَدُوَّ إِلَى صَدِيقٍ،  
وَتَلْكَ السِّيَّاسَةُ هِيَ الْمُدَارَاةُ.



إِنَّ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ لِمُحْتَرَفِي السِيرِكِ، كَيْفَ نَجَحُوا فِي تَرْوِيضِ الْحَيَوَانَاتِ الضَّخْمَةِ  
وَالشَّرْسَةِ، وَدَرَّبُوهَا عَلَى أَعْمَالٍ تَدْعُو لِلدَّهْشَةِ وَالِاسْتِغْرَابِ؟! وَطَرِيقَتُهُمْ فِي ذَلِكَ  
السِّيَّاسَةُ<sup>(١)</sup>، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ أَكْثَرِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ذِكَاءً، وَأَخْوَجَهَا إِلَى السِّيَّاسَةِ،  
وَسِيَّاسَتُهُ لَيْسَتْ كِسِيَّاسَةِ الْحَيَوَانَاتِ، بَلْ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:  
«سِيَّاسَةُ النَّاسِ أَشَدُّ مِنْ سِيَّاسَةِ الدَّوَابِّ».

النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتَعْمِلُ السِّيَّاسَةَ :

فَقَنَّ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ:

«أَنْدُونَا لَهُ، فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ! - أَوْ: بَيْسَ رَجُلِ الْعَشِيرَةِ! -».

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَهُ الَّذِي  
قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟!.

قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ النَّاسُ - أَوْ: تَرَكَهُ  
النَّاسُ - اتِّقَاءً فُحْشِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مِنْ سِيَّاسَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْ هَذَا الْحَيَوَانِ عَمَلًا مُعَيَّنًا، فَإِذَا حَقَّقَ فِيهِ نَجَاحًا ٥٪ أَعْطَوْهُ قِطْعَةً لَحْمٍ،  
وَشَدُّوا مِنْ أَزْرِهِ، دَلَالَةً عَلَى رِضَاهُمْ عَنْهُ، ثُمَّ يُكْرَرُونَ هَذَا الْأَمْرَ، فَيَزِدَادُ النَّجَاحُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى  
يَتَوَصَّلُوا إِلَى مَقْصُودِهِمْ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٩١).

وَعَنِ الْمَسْنُونِ بْنِ مَخْرَمَةَ - رَجُلٍ مِنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - أَقْبِيَّةً<sup>(١)</sup>، فَقَالَ لِي  
أَبِي مَخْرَمَةَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ؛ عَسَى أَنْ يُعْطِينَا مِنْهَا شَيْئًا. قَالَ: فَقَامَ أَبِي عَلَى الْبَابِ، فَتَكَلَّمْتُ،  
فَعَرَفَ النَّبِيُّ - ﷺ - صَوْتَهُ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ قَبَاءٌ، وَهُوَ يُرِيهِ مَحَاسِنَهُ، وَهُوَ يَقُولُ:  
«خَبَأْتُ هَذَا لَكَ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية للبخاري: «وكان في خلقه شيء»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن خنجر - رحمه الله -:

«قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي: خفض الجناح للناس، ولين  
الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة»<sup>(٤)</sup>.  
وقال بنفهم: «ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح في الماء الجاري»<sup>(٥)</sup>.

وقال الشافعي - رحمه الله -:

إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْتِهِ      لَأَذْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ  
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ      كَأَنَّهُ قَدْ حَسَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

مَا دُمْتَ حَيًّا فَدَارَ النَّاسَ كُلَّهُمْ      فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاتِ  
مَنْ يَدْرِ دَارِي، وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يَرِي      عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ<sup>(٧)</sup>

(١) الأقبية: جمع قباء - بالفتح ممدودا -، وهو يلبس فوق الثياب.

(٢) رواه البخاري (٢٥٩٩)، ومسلم (١٠٥٨)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٦١٣٢) من طريق ابن أبي مليكة.

(٤) «فتح الباري» (١٠/٥٢٨).

(٥) «عين الأدب والسياسة» لعلي بن هذيل (ص ١٥٤).

(٦) «ديوان الشافعي» (ص ٢٨) جمع الزغبى.

(٧) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٤١).

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله -:

ما بَخَلْتُ عَلَى السَّفِيهِ وَلَمْ أَهْبُهُ      وَدَارَيْتُ السَّفِيَةَ بِنِصْفِ مَالِي  
لِعِلْمِي فِي الْكَرِيمِ بُلُوغَ عُذْرِي      وَلَا يَرْتِي السَّفِيَةَ لِسُوءِ حَالِي

ما سن :

قال العتابي - رحمه الله -:

«المدارةُ سياسةٌ لطيفةٌ، لا يستغنى عنها ملكٌ ولا سُوقَةٌ»<sup>(١)</sup>، يَجْتَلِبُونَ بِهَا  
الْمَنَافِعَ، وَيُدْفَعُونَ بِهَا الْمَضَارَّ، فَمَنْ كَثُرَتْ مُدَارَاتُهُ، كَانَ فِي ذِمَّةِ الْحَمْدِ  
وَالسَّلَامَةِ». «عين الأدب والسياسة» (ص ١٥٤).



(١) السُّوقَةُ - بِالضَّمِّ - : الرَّعِيَّةُ، لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وَالْمُدَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، أَوْ قَدْ يُجْمَعُ عَلَى سُوقٍ - بِزَيْتَةِ  
عُرْفٍ.



## نلتسم

إِنَّ تَطْيِيبَ خَوَاطِرِ النَّاسِ  
بِالْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَالشَّنَاءِ الْعَاطِرِ،  
أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْمَتَاعِ. بَلَسَمَ لِكُلِّوْمِهِمْ،  
وَسَبِيلَ لَاسْتِبْقَاءِ مَوَدَّتِهِمْ.

فَاذْكُرُوا

الكتابُ والسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ حَافِلَانِ بِذِكْرِ مَا يَجْبُرُ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَيُطَيِّبُهَا:  
قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ  
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ (النساء: ٨).  
فهؤلاء الأَقْرَبُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ الَّذِينَ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي الْمِيرَاثِ، وَلَا مَالٌ لَهُمْ طَيَّبَ  
اللَّهُ خَاطِرَهُمْ بِجُزْءٍ مِنْ مَالِ التَّرِكَةِ، تُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ، يُبَارِكُ اللَّهُ لَكَ، وَيُعَوِّضُكَ خَيْرًا (١).  
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (سبأ: ٣٩).  
وقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤١).  
فخاطرُ الْمُطَلَّقةِ مَكْسُورٌ؛ لكونِهَا طَلَّقَتْ، فَعَوَّضَ هَذَا الْكَسْرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ تَخْفِيفًا  
مِنْ أَحْزَانِهَا (٢).

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَمْنَعَ أَحَدًا شَيْئًا، فَكَلِّلْ ذَلِكَ بِالْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ.  
قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَعَرَضْنَا عَنْهُمْ إِبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾  
(الإسراء: ٢٨) (٣).

(١) وَمِنْ تَطْيِيبِ الْخَوَاطِرِ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَكَ مَالٌ تُفَرِّقُهُ بَيْنَ أَوْلَادِكَ، وَحَضَرَ أَوْلَادُ الْجِيرَانِ، أَوْ الْيَتَامَى -  
فَأَعْطِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ مَا تُطَيِّبُ خَوَاطِرَهُمْ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.  
(٢) انظر: «فقه الأخلاق» (١/١٢٨).  
(٣) انظر: «فقه الأخلاق» (١/١٢٩).

وَأَمَّا السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ فَحَافِلَةٌ بِذِكْرِ جَبْرِ الْخَوَاطِرِ وَتَطْيِيبِهَا، وَذِكْرُ ذَلِكَ بِحَاجَةٍ إِلَى سِفْرِ<sup>(١)</sup> بَلْ أَسْفَارٍ، وَلَكِنْ يَكْفِي مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ.  
فَعَنِ الْبِرَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: «لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فِي ذِي الْقَعْدَةِ...» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: (فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -، فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ خَمَزَةَ تُنَادِي: يَا عَمُّ يَا عَمُّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ: دُونَكَ<sup>(٢)</sup> ابْنَةُ عَمِّكَ حَمَلِيهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرُ:

قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي.

وَقَالَ جَعْفَرُ: ابْنَةُ عَمِّي، وَخَالَتَهَا تَحْتِي.

وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أُخِي.

فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لِحَالَتِهَا، وَقَالَ: «الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»

وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ».

وَقَالَ لَجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي».

وَقَالَ لَزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا»<sup>(٣)</sup>.

فَانظُرْ كَيْفَ طَيَّبَ - صلى الله عليه وسلم - خَاطِرَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا قَالَهُ لَهُ؟!<sup>(٤)</sup>.

يَا قُوتُ،

قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - رضي الله عنه -:

«لَوْ جَلَسْتُ إِلَى مِائَةٍ، لِأَحْبَبْتُ أَنْ أَلْتَمِسَ رِضًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ».

«بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٤٥).

(١) السَّفَرُ - بِالْكَسْرِ -: الْكِتَابُ الْكَبِيرُ، وَالْجَمْعُ أَسْفَارٌ.

(٢) دُونَكَ: اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٌ بِمَعْنَى: خُذِي.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٥١).

(٤) انظُرْ «فِقْهُ الْأَخْلَاقِ» (١/ ١٣٠).

## تَعَاهُدُ مَا زَرَعْتَ

إِنَّ الْمَوْدَةَ لَنْ تَبْلُغَ أَنْ تَكُونَ  
مَوْدَةً بِالْفِعْلِ مَا لَمْ تَتَعَاهَدْهَا،  
كَمَا لَا يَخْسُنُ أَنْ تَضَعَ الْبِنْدَرُ  
فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ تَتَوَلَّى عَنْهُ.



مَا أَتَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَبْلِ عَدَمِ تَعَاهُدِ الْوُدِّ، وَمَتَى اقْتَصَرَ الْوُدُّ عَلَى حَلَاوَةِ  
مَنْطِقِي، كَانَ تَعَارُفًا، لَا خُلَّةً<sup>(١)</sup> خَالِصَةً.

قال صالح بن عبد القدوس:

إِذَا كَانَ وَدُّ الْمَرْءِ لَيْسَ بِزَائِدٍ  
أَوْ الْقَوْلُ: «إِنِّي وَامِقٌ»<sup>(٢)</sup> لَكَ حَافِظٌ  
وَلَمْ يَكُ إِلَّا كَاشِرًا أَوْ مُحَدِّثًا  
وَلَكِنْ إِخَاءُ الْمَرْءِ مَنْ كَانَ دَائِمًا  
عَلَى «مَرْحَبًا» أَوْ «كَيْفَ أَنْتَ وَحَالِكَ؟»  
وَأَفْعَالُهُ تُبَدِي لَنَا غَيْرَ ذَلِكَ  
فَأَفْ لَوُدِّ لَيْسَ إِلَّا كَذَلِكَ  
لِذِي الْوُدِّ مِنْهُ حَيْثُمَا كَانَ سَالِكًا<sup>(٣)</sup>

وَإِنَّمَا يُؤَاخِي مَنْ كَانَ صَافِي الْوُدِّ، فَمِثْلُهُ حَقِيقٌ بِكُلِّ خَيْرٍ.

(١) الْخُلَّةُ - بِالضَّمِّ - : الصَّدَاقَةُ الْمُخْتَصَّةُ لَا خَلَلَ فِيهَا، وَالْجَمْعُ خِلَالٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الصَّدَاقَةُ الْمُخْتَصَّةُ  
خُلَّةً؛ لِتَخَالِ الْمَحَبَّةَ جَمِيعَ أَجْزَاءِ الرُّوحِ، كَمَا قَالَ بَشَّارٌ:

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسَلَكَ الرُّوحِ مِنِّي      وَبِهِ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

(٢) وَمِقَّةٌ يَمِقُّهُ - بِكَسْرِهَا - وَمَقًا وَمِقَّةٌ: أَحَبُّهُ، فَهُوَ وَامِقٌ.

(٣) «رَوْضَةُ الْمُعْقَلَاءِ» (ص ٧٤).

قال الشافعي - رحمه الله - :

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفاً  
ففي الناس أبدال، وفي الترك راحة  
فما كل من تهواه يهواك قلبه  
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة  
ولا خير في خل يخون خليله  
وينكر عيشاً قد تقدم عهده  
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها  
فدعه، ولا تكثر عليه التأسفا  
وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا  
ولا كل من صافيته لك قد صفا  
فلا خير في ود يجيء تكلفاً  
ويلقاه من بعد المودة بالجفا  
ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا  
صديق صدوق صادق الوعد منصفاً

ولا يكون المرء حافظ الود حتى يؤتى إلى إخوانه الذي يجب أن يؤتى إليه<sup>(١)</sup>، ويجب  
لهم ما يحبونه لنفسه<sup>(٢)</sup>.

ومن دُرر الحكم: «أخوك هو شخصك الثاني».

ولله در السعدي الشيرازي القائل:

قال لي المحبوب لما زرتُهُ:  
قال لي: أخطأت تعريف الهوى  
ومضى عام، فلما جئته  
قال لي: من أنت؟ قلت: أنظر فما  
قال لي: أحسنت تعريف الهوى  
من بابي؟ قلت: بالباب أنا  
حينما فرقت فيه بيننا  
أطرق الباب عليه موهنا  
ثم إلا أنت بالباب هنا  
وعرفت الحب، فادخل يا أنا

(١) روى مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - :  
«وَلِيَّاتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

(٢) روى البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - :  
«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله :-

وافيتني فزرغت في قلبي زهوراً يانعة  
 وهجرتني حتى ذوت تلك الزهور الرائعة  
 لو لم تُفارقها نمت وغدت حُقُولاً مائعة<sup>(١)</sup>

سبائك ذهبية :

قال ابن حبان - رحمه الله - : «مَنْ أَضَاعَ تَعَهُدَ الْوُدِّ مِنْ إِخْوَانِهِ، حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِمْ، وَأَيَسَ الْإِخْوَانَ مِنْ نَفْسِهِ» «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ١٤٧).



(١) «بلسم الحياة» مخطوط.

## وفاء

إِنَّ الْوَفَاءَ عَزِيزٌ وَالْأَوْفِيَاءُ  
عَلَى عِزَّتِهِمْ يَتَرَبَّعُونَ الْأَفْنَادَةَ،  
فِي فَيْحَانِهَا يَسْرَحُونَ، وَفِي ذَوْحَاتِهَا  
يَمْرَحُونَ.

فأهم

عَظَّمَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَمْرَ الْوَفَاءِ، فَقَالَ:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٠).

ولِقَلَّةِ وُجُودِهِ فِي النَّاسِ، وَعِزَّتِهِ بَيْنَهُمْ قَالَ - تَعَالَى -:

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ (الأعراف: ١٠٢).

وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْعِزَّةِ، فَتَقُولُ لِلشَّيْءِ التَّفِيسِ الَّذِي قَلَّ فَلَإِ يَكَادُ يُوجَدُ:

«هُوَ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ<sup>(٢)</sup> الْوَفَاءِ بِكَفِّهِ فَقَدْ دَرَسَتْ<sup>(٣)</sup> أَعْلَامُهُ وَمَنَازِلُهُ

وَالْوَفَاءُ أَنْوَأُ، مِنْهَا:

الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، الْوَفَاءُ بِالْعَقْدِ، الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ، الْوَفَاءُ فِي حَقِّ الْأَخُوَّةِ وَرِعَايَةِ ذِمَامِهَا<sup>(٤)</sup>.  
وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ إِلَّا بِأَنْ يَلْزَمَ الْعَبْدُ الْوَفَاءَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، فَيُوفِيَ بِحُقُوقِ

(١) انظر «الذريعة في مكارم الشريعة» (ص ٢٩٣).

(٢) الأطلال: جمع طلل - بفتح تين - ، وهو ما شخّص من آثار الديار - ويُجمع - أيضا - على طلول، وأطلال الوفاء على التشبيه.

(٣) دَرَسَتْ: عَفَتْ وَذَهَبَتْ، وَبَابُهُ دَخَلَ.

(٤) الذِّمَامُ - بِالْكَسْرِ - : الْحُرْمَةُ، وَالْجَمْعُ أَدِمَّةٌ.

الله - سبحانه وتعالى - كاملة، وحقوق إخوانه، وحقوق أهله ونفسه، ويُعطي كل ذي حق حقه، والله الموفق.

وهناك مواقف عزيزة في الوفاء سجلها لنا التاريخ بأحرف من نور، أذكر منها:

وفاء عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع لعبيدة بن عبد الرحمن - رحمهما الله - ، فعندما عزل الوليد بن عبد الملك عامله على الأزدن عبيدة بن عبد الرحمن، وضربه، وحلقه، وأقامه للناس، وقال للمتوكلين به: من أتاه متوجعاً، وأثنى عليه، فأتوني به، فأتاه عدي بن الرقاع وهو مكبل، وكان عبيدة إليه محسناً، ومقرباً له، ومجزلاً له العطاء، فوقف عليه، وأنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقاً، ولكن إلى الخيرات سباقاً جواداً  
وكننت أخى وما ولدتك أمي وصولاً باذلاً لي مستزاداً  
وقد هيضت<sup>(١)</sup> لنكتك القدامى<sup>(٢)</sup> كذاك الله يفعل ما أراداً

فوثب المتوكلون بعبيدة، وأمسكوا عدياً، وأدخلوه على الوليد، وأخبروه بما جرى، فتغيظ عليه الوليد، وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إلي محسناً، ولي مؤثراً، وبى براً، ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم؟!.

فقال: صدقت وكرمت، وقد عفوت عنك وعنه لك، فخذهُ وانصرف. فانصرف به

إلى منزله<sup>(٣)</sup>.

(١) هاض الشيء: كسره، وبأبه باع.

(٢) القدامى - بزنة الجباري - : أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح، الواحدة قادمة.

(٣) «الوفاء» لعبيد الرحمن بن صالح آل عبد اللطيف (ص ٧٦).

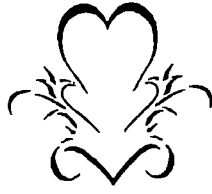
قال أستاذنا العماد - حفظه الله - :

كَرِيمٌ؛ فَقَدْ وَافَيْتُهُ ذَاتَ مَرَّةٍ      فَلَمْ يَلْقَ مَا يُرْضِيهِ إِلَّا فُؤَادَهُ  
وَفِي، فَلَوْ مَزَّقْتَ أَشْلَاءَ قَلْبِهِ      لَصَاحَتْ جَمِيعًا: لَنْ تُخُونَ وَدَادَهُ<sup>(١)</sup>

عُقُودٌ ذَهَبِيَّةٌ ،

قال ابن خزيمة - رحمه الله - : «الْوَفَاءُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْعَدْلِ، وَالْجُودِ، وَالنَّجْدَةِ».

«الأخلاق والسير» (ص ١٤٥).



(١) «بلسم الحياة» مخطوط.



## قلوب مؤتلفة

إِنَّ الْأَخُوَّةَ الصَّادِقَةَ لَا يَدُومُ  
وُذُهَا بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَلَا يَنْتَظِمُ  
عَقْدُهَا بَيْنَ شَخْصَيْنِ - حَتَّى يَكُونَ  
بَيْنَ رُوحَيْهِمَا تَقَارُبٌ، وَيَا آدَابَهُمَا  
تَشَابَهُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُ  
لَكَ، انْفَرَطَ الْعَقْدُ، مَا مِنْ ذَلِكَ بُدْ.



قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ»<sup>(١)</sup>،

فَمَا تَعَارَفَ<sup>(٢)</sup> مِنْهَا اتَّخَلَفَ<sup>(٣)</sup>، وَمَا تَنَاطَرَ<sup>(٤)</sup> مِنْهَا اخْتَلَفَ<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

يَقُولُ الْبَغَوِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «فِي الْحَدِيثِ بَيَانٌ أَنَّ الْأَرْوَاحَ خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَجْسَادِ، وَأَنَّهَا  
مَخْلُوقَةٌ عَلَى الْإِتْتِلَافِ وَالِاخْتِلَافِ كَالْجُنُودِ الْمُجَنَّدَةِ، إِذَا تَقَابَلَتْ وَتَوَاجَهَتْ، وَذَلِكَ  
عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، ثُمَّ الْأَجْسَادُ الَّتِي فِيهَا الْأَرْوَاحُ تَلْتَقِي  
فِي الدُّنْيَا، فَتَاتَلَفُ وَتَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ مَا جُعِلَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاكُلِ وَالتَّنَاكُرِ فِي بَدْءِ  
الْخَلْقِ، فَتَرَى الْبِرَّ الْخَيْرَ يُحِبُّ مِثْلَهُ، وَالْفَاجِرَ يَأْتَلِفُ شَكْلَهُ، وَيَنْفِرُ كُلٌّ مِنْ ضِدِّهِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ: جُمُوعٌ مَجْتَمِعَةٌ، وَأَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَالْأَرْوَاحُ جَمْعُ رُوحٍ، وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْجَسَدُ، وَتَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ.

(٢) تَعَارَفَ مِنْهَا: تَوَافَقَتْ صِفَاتُهَا، وَتَنَاسَبَتْ فِي أَخْلَاقِهَا.

(٣) اتَّخَلَفَ: مِنَ الْأَلْفَةِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ وَالْمَوَدَّةُ.

(٤) تَنَاطَرَ مِنْهَا: تَنَافَرَتْ فِي طَبَائِعِهَا.

(٥) اخْتَلَفَ: تَبَاعَدَ.

(٦) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٣٣٣٦)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

(٧) «شَرْحُ السُّنَّةِ» (٥٧ / ١٣).

قال الشاعر:

تعارف أزواج الرجال إذا التقوا  
فمنهم عدو يتقى وخليل  
كذلك أمور الناس، والناس منهم  
خفيف - إذا صاحبتُه - وثقيل<sup>(١)</sup>

وقال أحمد عبيد - رحمه الله -:

بعثت عن الأديان في كل أمة  
وطفت بلاد الله غرباً ومشرقاً  
فلم أر كإسلام أدعى لألفة  
ولا مثل أهليه هوى وتفرقاً

وقال ابن القيم - رحمه الله -:

(وأنت إذا تأملت الوجود، لا تكاد تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة، أو اتفاق في فعل، أو حال، أو مقصد، فإن تباينت المقاصد، والأوصاف، والأفعال، والطرائق لم يكن هناك إلا النفرة، والبعد بين القلوب، ويكفي في هذا الحديث الصحيح عن رسول الله - ﷺ -: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>.

وقال - رحمه الله -: «إذا كانت المحبة بالمشاكلة والمناسبة، ثبتت وتمكنت، ولم يزلها إلا مانع أقوى من السبب، وإذا لم تكن بالمشاكلة، فإنها هي محبة لغرض من الأغراض، تزول عند انقضائه وتضمحل، فمن أحبك لأمر ولّى عند انقضائه، فداعي المحبة وباعثها إن كان غرضاً للمحب، لم يكن لمحبتة بقاء»<sup>(٤)</sup>.

(١) «ديوان طرفة بن العبد» (ص ١٢١).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير - رحمه الله -.

(٣) «روضة المحبين» (ص ٥٤).

(٤) المرجع السابق (ص ٥١).

قال الشاعر:

إِنْ كُنْتَ حُلْتَ<sup>(١)</sup> وَبِي اسْتَبَدَلْتَ مُطْرَحًا  
فَكُلُّ طَيْرٍ إِلَى الْأَشْكَالِ مَوْقِعُهَا  
وَدَا، فَلَمْ تَأْتِ مَكْرُوهًا وَلَا بَدْعًا<sup>(٢)</sup>  
وَالْفَرْعُ يَجْرِي إِلَى الْأَغْرَاقِ مُنْتَزِعًا<sup>(٣)</sup>

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله - :

وإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ، أَحِبُّ ذَوِي التُّقَى  
تَرَاهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَوَدُّونَ بَعْضَهُمْ  
كذالك أَهْلُ الشَّرِّ يَجْمَعُهُمْ إِنْفُ  
وَلَا خَيْرٍ فِي قَوْمٍ قُلُوبُهُمْ غُلْفُ  
إِذَا اشْتَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ رَأَيْتَهُمْ  
وَمَا بَيْنَهُمْ وَدُّ يُرَاعَى وَلَا عُرفُ<sup>(٤)</sup>

عُقُودُ مَاسِي

قال مالك بن دينار - رحمه الله - لختته<sup>(٥)</sup>: «يا مُغِيرَةُ، أَنْظِرْ كُلَّ أَخٍ لَكَ، وَصَاحِبَ  
لَكَ، وَصَدِيقٍ لَكَ لَا تَسْتَفِيدُ فِي دِينِكَ مِنْهُ خَيْرًا، فَاثْبُدْ عَنكَ صُحْبَتَهُ، فَإِنَّمَا  
ذَلِكَ لَكَ عَدُوٌّ، يَا مُغِيرَةُ، النَّاسُ أَشْكَالٌ: الْحَمَامُ مَعَ الْحَمَامِ، وَالْغُرَابُ مَعَ  
الْغُرَابِ، وَالصَّعُورُ مَعَ الصَّعُورِ<sup>(٦)</sup>، وَكُلٌّ مَعَ شَكْلِهِ».

«المنتقى من مكارم الأخلاق» (ص ١٥٩).



(١) حلت: انقلبت عن العهد.

(٢) يقول: أيها المستبدل بي غيبي، لا عيب عليك؛ إنما أنت تبع من تجالس.

(٣) «روضة العقلاء» (ص ١٨٢).

(٤) «بلسم الحياة» مخطوط.

(٥) الختن - بفتح الخاء - : واحد الأختان، وهو عند العرب كل من كان من قبل المرأة، مثل: الأب، والأخ، وعند العامة زوج البنت.

(٦) الصعور - بالفتح - : جمع صعورة، وهو طائر أصغر من العصفور، ويجمع - أيضا - على صعاء.

## مضلع الحب

إن الكرم يجتذب القلوب،  
ويضنغ الحب، ويثمر المؤدّة،  
ويصل الشخيمة، وينذهب  
بالضغينة.



يُكْفِي الْكَرَمَ شَرَفًا وَفَضْلًا أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :  
﴿فَإِنَّ رَبِّي يَنْصُرُ الْكَرِيمَ﴾ (١٠٠) ﴿النمل: ٤٠﴾.

وهو - أيضا - سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - .  
يقول جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - : «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ شَيْءٍ - قَطُّ - فَقَالَ: لَا» (١).  
مَا قَالَ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَأُوهُ نَعْمُ  
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ (٢) إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ  
وَقَدْ كَانَ جَوْدُهُ وَكَرَمُهُ - صلى الله عليه وسلم - سَبَبًا فِي دُخُولِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ  
أَفْوَجًا.

يقول أنس - رضي الله عنه - :

«مَا سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ  
عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ (٣)، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا  
يُخْشَى الْفَاقَةَ (٤)» (١) (٥).

(١) رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٢) الحطيم: هو ما بين الركن والباب.

(٣) أي: كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.

(٤) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٥) رواه مسلم (٢٣١٢).

تَبَرَّعْتَ لِي بِالْجُودِ حَتَّى نَعَشْتَنِي<sup>(١)</sup> وَأَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُكَ تَلْعَبُ  
فَأَنْتَ النَّدَى<sup>(٢)</sup>، وَأَبْنُ النَّدَى، وَأَخُو النَّدَى حَلِيفُ<sup>(٣)</sup> النَّدَى، مَا لِلنَّدَى عَنْكَ مَذْهَبُ

أَقُولُ: لَوْ كَانَ شَيْءٌ يَلْعَبُ بِالْقُلُوبِ لَكَانَ الْكَرَمَ؛ لِأَنَّ النَّفُوسَ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّ مَنْ  
أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغِضَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا، فَإِذَا مَكَنَكَ اللَّهُ مِنْ لُعَاعَةٍ<sup>(٤)</sup> مِنَ الدُّنْيَا، فَاشْتَرِ  
الْقُلُوبَ؛ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَشْتَرِيهَا بِأَرْزَاقِهَا، وَتَرْبِحُ الْأَجْرَ وَالْحَمْدَ.

قال حاتم الطائي:

لَعَمْرُكَ، مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَ جَتَّ يَوْمًا، وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ؟  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ؟

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله -:

الشُّحُّ رَأْسٌ لِلرَّذَائِلِ كُلِّهَا أَمَّا الْفَضَائِلُ رَأْسُهَا الْجُودُ  
ابْتُذِلَّ وَجُدْ بِالْمُسْتَطَاعِ وَلَا تَخَفْ فَاللَّهُ فِي عِلْيَائِهِ مَوْجُودُ  
يَحْيَا الْكَرِيمُ مُبَجَّلًا فِي قَوْمِهِ أَمَّا الْبَخِيلُ فَجَائِعٌ مَحْسُودُ  
قَاسَى شِقَاوَتَهُ لِيُسْعِدَ غَيْرَهُ وَإِلَيْهِ ذَمُّ الْوَارِثِينَ يَعْوَدُ<sup>(٥)</sup>

وَهُنَاكَ نَوْعٌ عَزِيزٌ مِنَ الْكَرَمِ - إِنَّ لَمْ يَكُنْ أَعْلَاهُ - وَهُوَ كَرَمُ الرَّجُلِ عَمَّا فِي أَيْدِي  
النَّاسِ، وَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى كَرَمِ النَّفْسِ، وَطِيبِ الْأَصْلِ.  
قال ابن المقفع: «عَوْدُ نَفْسِكَ السَّخَاءَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَخَاءٌ أَنْ:

(١) نعشتني: رفعتني، وبأبه قطع.

(٢) الندى - بزنة الفتى - : الجود والكرم.

(٣) الحليف - بزنة الأمير - : الصديق يملف لصاحبه ألا تغدر به، والجمع حلفاء.

(٤) اللعاعة - بالضم - : كل نبات لين من أحرار البقول، فيها ماء كثير لزج، تشبه به الدنيا في قلة البقاء.

(٥) «بلسم الحياة» مخطوط.

سَخَاوَةٌ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَسَخَاوَةٌ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَسَخَاوَةٌ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَكْثَرُهُمَا، وَأَقْرَبُهُمَا مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي بَابِ الْمُفَاخِرَةِ، وَتَرْكُهُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَمْحَضٌ<sup>(١)</sup> فِي التَّكْرُمِ، وَأَبْرَأُ مِنَ الدَّنَسِ، فَإِنْ هُوَ جَمَعَهُمَا، فَبَدَلَ وَعَفَّ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ<sup>(٢)</sup>.

وَأُعْرِضْ عَنِ ذِي الْمَالِ حَتَّى يُقَالَ لِي: لَقَدْ جَاءَ هَذَا جَفْوَةً وَتَعَظُّمًا  
وَمَا بِي جَفَاءً عَنِ صَدِيقٍ وَلَا أَخٍ وَلَكِنَّهُ فِعْلِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا<sup>(٣)</sup>

عَقُودُ مَرْجَانٍ :

قال ابن القيم - رحمه الله - : «فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد:  
وإن لم أعطك ما تجود به على الناس، فجد عليهم بزهدك في أموالهم، وما  
في أيديهم، تفضل عليهم، وتزاحمهم في الجود، وتنفرد عنهم بالراحة».  
«مدارج السالكين» (٢/٢٨٢).



(١) أَمْحَضٌ: أَخْلَصُ.

(٢) «الأدب الصغير، والأدب الكبير» (ص ١٤٤).

(٣) الْمُعْدِمُ: الْفَقِيرُ، يُقَالُ: أَعْدَمَ الرَّجُلُ: إِذَا افْتَقَرَ.

## إنصاف

إن الإنصاف خلق زفيغ،  
ما تخلى به أحد إلا تزيغ  
على القلوب، وما شيء  
أقطع لود ذي الود مثل قلة  
الإنصاف.



وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرَّجَالِ، وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ  
الإنصاف بين الناس كما عرفه ابن القيم - رحمه الله -: «أن تؤدي حقوقهم، وألا تطالبهم  
بما ليس لك، وألا تحملهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وأن  
تعفيهم، مما تحب أن يعفوك منه، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو  
عليها»<sup>(١)</sup>.

وقال - رحمه الله -:

وتحل بالإنصاف أفرحلة زينت بها الأعطاف<sup>(٢)</sup> والكتفان<sup>(٣)</sup>  
والنبي - صلى الله عليه وسلم - يحننا على الإنصاف، فيقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب  
لنفسه»<sup>(٤)</sup>.

ويقول: «وليات إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»<sup>(٥)</sup>.

ومن الإنصاف قبول الحق من كل أحد، ولو كان قائله بغيضا، ورد الباطل على كل  
أحد، ولو كان قائله حبيبا.

(١) «زاد المعاد» (٢/٤٠٧) بتصرف.

(٢) الأعطاف: جمع عطف - بالكسر -، وهو الجانب.

(٣) «نونية ابن القيم» بشرح محمد خليل هراس (١/٥٢).

(٤) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١) من حديث أنس - رحمه الله -.

(٥) رواه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو - رحمه الله -.

أَلَا تَرَى أَنَّ مَلِكَةَ سَبِيٍّ فِي حَالِ كَوْنِهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ وَقَوْمُهَا، لَمَّا قَالَتْ كَلَامًا حَقًّا صَدَّقَهَا اللَّهُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ كُفْرُهَا مَانِعًا مِنْ تَصْدِيقِهَا فِي الْحَقِّ الَّذِي قَالَتْهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهَا فِيهَا حَكَى اللَّهُ عَنْهَا:

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، فقال الله - سبحانه وتعالى - مُصَدِّقًا لَهَا: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤).

وَقَدْ تَقُولُ قَوْلًا تَرَاهُ صَوَابًا، فَيَنْقُدُهُ آخَرٌ بِمِيزَانِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَلَمْ تَجِدْ حَرَجًا مِنْ أَنْ تَقُولَ: أَخْطَأْتُ فِي قَوْلِي، وَمَتَى فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِكَ. عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ: «مَا أَرَدْتُ الْحَقَّ وَالْحُجَّةَ عَلَى أَحَدٍ، فَقَبِلَهَا، إِلَّا هَيْبَتُهُ، وَاعْتَقَدْتُ مَوَدَّتَهُ، وَلَا كَابَرَنِي عَلَى الْحَقِّ أَحَدٌ، وَدَافَعَ الْحُجَّةَ، إِلَّا سَقَطَ مِنْ عَيْنِي»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ لَوْ كَانَ يَعْغَلُ

وقال أستاذنا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ - حفظه الله - :

أَنْصِفْ وَإِنْ كُنْتَ ذَا جَاهٍ وَمَرْتَبَةٍ فَمَنْ تَكَبَّرَ فِي حَقِّ أَهْلِينَ بِهِ وَمَنْ تَوَاضَعَ فِي حَقِّ فَقَدٍ كَبْرًا<sup>(٢)</sup>

وقال - أيضا - :

وَإِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ عِنْدِي مُنْصِفٌ وَأَبْغَضُهُمْ - وَاللَّهِ - عِنْدِي مُنَافِقٌ إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانَ مِقْدَارَ نَفْسِهِ وَإِنْ قَالَ بِي مَا لَا أَحِبُّ مِنَ الذَّمِّ مَدَائِحُهُ بِالزُّورِ شَرٌّ مِنَ الشَّتْمِ يَرَى أَنْ سَيَفَ الْحَقُّ خَالٍ مِنَ الظُّلْمِ<sup>(٣)</sup>

(١) «صفة الصَّفوة» لابن الجَوْزِيِّ (١٦٧/٢).

(٢) «بلسم الحياة» مخطوط.

(٣) «بلسم الحياة» مخطوط.



نسيمة ،

قال ابن خزيم - رحمه الله - :

«مَنْ أَرَادَ الْإِنصَافَ، فَلْيَتَوَهَّمْ نَفْسَهُ مَكَانَ خَصْمِهِ؛ فَإِنَّهُ يَلُوحُ لَهُ وَجْهُ  
تَعَسُّفِهِ<sup>(١)</sup>». «الأخلاق والسير» (ص ٨٠).



(١) التَّعَسُّفُ: الظُّلْمُ.

## عفة

إِنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ مَحْبُوبًا مِّنَ  
النَّاسِ حَتَّى يَعْضَ عَمَّا  
فِي أَيْدِيهِمْ، فَمَتَى احتاج إليهم  
هان عندهم.

فهمهم

مِنَ وَصِيَّةِ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - : «وَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ،  
وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وَمِنَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - : «وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.  
وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ - رَوَاهُ - قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - تِسْعَةَ، أَوْ ثَمَانِيَةَ، أَوْ  
سَبْعَةَ، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟!». وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بَبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: «قَدْ بَايَعْنَاكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟!». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ  
قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
فَعَلَّامٌ نُبَايِعُكَ؟! قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ،  
وَتُطِيعُوا - وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا».

فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) (حسن) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/٦١)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (٨٣١) عَنْ  
سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَوَاهُ - .

(٢) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (٤١٧١)، وصححه الألباني في «الصحيح» (٤٠١) عَنْ أَبِي  
أَيُّوبَ - رَوَاهُ - .

(٣) رواه مسلم (١٠٤٣).

هُمُ الْقَوْمُ، إِنْ قَالُوا أَصَابُوا، وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا<sup>(١)</sup>  
 وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَلَوْ حَاوَلُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا  
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ  
 الْعَرَضِ<sup>(٢)</sup>، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «فَغِنَى النَّفْسِ الَّذِي لَا يَسْتَشْرِفُ - أَي: يَتَطَلَّعُ - إِلَى  
 الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّ الْحُرَّ عَبْدٌ مَا طَمَعَ، وَالْعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنَعَ.

وَقَدْ قِيلَ: أَطْعَمْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدْتَنِي. فَكُرِهَ أَنْ يَتَّبِعَ نَفْسَهُ، مَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ؛ لِئَلَّا يَبْقَى فِي  
 الْقَلْبِ فَقْرٌ وَطَمَعٌ إِلَى الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ خِلَافُ التَّوَكُّلِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَخِلَافُ غِنَى النَّفْسِ»<sup>(٤)</sup>.  
 قَالَ أَبُو فِرَاسٍ:

إِنَّ الْغِنَى هُوَ الْغِنَى بِذَاتِهِ      وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمَنَاكِبِ حَافِي  
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا      فَإِذَا أَقْنَعْتَ فِكُلِّ شَيْءٍ كَافِيًا

وَقَالَ آخَرُ:

وَأَعْرَضُ عَنْ ذِي الْمَالِ حَتَّى يُقَالَ لِي      أَحَدَتْ هَذَا جَفْوَةً وَتَعَظْمًا  
 وَمَا بِي جَفَاءٌ عَنْ صَدِيقٍ وَلَا أَخٍ      وَلَكِنَّهُ فِعْلِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ: <sup>(٥)</sup>

إِذَا أَظْمَأْتِكَ أَكْفُ اللَّئَامِ      كَفَفْتُكَ الْقِنَاعَةَ شَبَعًا وَرِيًّا  
 فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى      وَهَامَتُهُ<sup>(٥)</sup> هِمَّةٌ فِي الثَّرِيَّا<sup>(٦)</sup>

(١) أَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ: أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ.

(٢) الْعَرَضُ - بَفَتْحَتَيْنِ - : مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٤٦)، وَمُسْلِمٌ (١٠٥١).

(٤) «الْفَتَاوَى» (١٨ / ٣٢٩).

(٥) الْهَامَةُ: الرَّأْسُ، وَالْجَمْعُ هَامٌ.

(٦) الثَّرِيَّا: سَبْعَةُ نَجُومٍ مُنْضَمَّةٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، تُشَبَّهُ الْعُنُقُودَ.

أَبِيًّا<sup>(١)</sup> لِنَائِلِ<sup>(٢)</sup> ذِي نِعْمَةٍ  
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَاةِ  
تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيًّا  
دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْمَحْيَا<sup>(٣)</sup>

وقال الحريري:

لَعَمْرُكَ، مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً  
وَمَنْ كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ بِمَالِهِ  
أَسِيرُكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ أَمِيرُهُ  
أَمِيرُكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ أَسِيرُهُ

وقال أستاذنا العماد - حفظه الله - :

وَلِي عِزَّةٌ فِي النَّفْسِ لَوْ هِيَ قُسِّمَتْ  
وَلَا عَيْبَ فِي فَقْرِي وَبُؤْسِي وَحَاجَتِي  
عَلَى النَّاسِ تَلْقَى أَبَاسَ النَّاسِ سَيِّدًا  
تَعَفَّفْتُ حَتَّى نَافَسُونِي عَلَى الْغِنَى  
وَلَا عَارَ إِلَّا أَنْ أُمَدَّ لَهُمْ يَدًا  
وَأَصْبَحَ حَوْلِي أَيُّسَرُ النَّاسِ حُسَّدًا<sup>(٤)</sup>

نتيجة:

عَنْ قُوتَبَانَ - ~~رحمته~~ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ تَكَفَّلَ<sup>(٥)</sup> لِي أَلَّا  
يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، فَاتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» .  
فَقَالَ قُوتَبَانُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.  
(رواه أبو داود (١٦٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠٣)).



- (١) أبِيًّا: رافضًا كارها.
- (٢) لِنَائِلِ: لمعطي خير.
- (٣) الْمَحْيَا: الوجه.
- (٤) «بلسم الحياة» مخطوط.
- (٥) تَكَفَّلَ: ضمّن.

## لذّة

إن لذّة العفو فوق لذّة الانتقام،  
لأن الانتقام أوله لئذّة، وآخره  
مزارّة، ولا بُد.  
والعفو أوله مرارة، يعقبها  
نعيم إلى الأبد.



وتأمل معي قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (البقرة: ٢٣٧).  
أي: مَنْ عَفَا فَذَلِكَ أَقْرَبُ لَصَلَاحِهِ وَتَقْوَاهُ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَطَمَأنِينَةِ  
النَّفْسِ، وَالرَّاحَةِ مِنْ هَمِّ العَدَاوَةِ.

وقَدْ يَقْبَلُ العَفْوُ وَالصَّفْحُ العَدَاوَةَ إِلَى مَحَبَّةٍ وَصَدَاقَةٍ فِي الحَالِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ .تعالى . :  
﴿ وَلَا تَسْتَوِ الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ  
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

(فصلت: ٣٤، ٣٥).

فكَيْفَ كانتِ النَّتِيجَةُ؟ أَلَيْستِ قَدْ جاءتِ بِـ «إِذَا» الفُجَائِئَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الحَدُوثِ  
الفُورِيِّ فِي نَتِيجَتِهَا ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾؟ (١).

أَتَيْتُكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ      وَخَسِرُ النَّاسَ مَنْ أخطَا فَتَابَا  
أَلَيْسَ اللهُ يُسْتَعْفَى فَيَعْفُو      وَقَدَمَلَكِ العُقُوبَةَ وَالثُّوبَا؟

(١) انظر «مكارم الأخلاق» للعثيمين (ص ٢٦).

يا قوت

قال العلامة ابن خزم - رحمه الله -

«مَنْ أَسَاءَ إِلَى أَهْلِهِ وَجِرَانِهِ، فَهُوَ أَسَقَطُهُمْ، وَمَنْ كَفَأَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، فَهُوَ مِثْلُهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُكَافِئْهُمْ بِإِسَاءَتِهِمْ، فَهُوَ سَيِّدُهُمْ وَخَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ».

«الأخلاق والسَّير» (ص ٨٥).



## إقالة

إِنَّ النَّاسَ جُبِلُوا عَلَى خُبٍّ  
مَنْ عُرِفَ بِالْإِغْضَاءِ، وَالتُّفُورِ  
عَمَّنِ اشْتَهَرَ بِالْإِسْتِقْصَاءِ؛  
لَأَنَّ الْإِسْتِقْصَاءَ طَبِيعَةُ النَّامِ،  
وَإِلْغَاءُ سَجِيَّةِ الْكِرَامِ.



كُلُّ مِنَّا لَا بُدَّ أَنْ يَهْفُوَ، وَيُحِبَّ أَنْ يَجِدَ مَنْ يَعْذِرُهُ؛ لِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَقَالَ»<sup>(١)</sup>  
مُسْلِمًا، أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَيَتَأَكَّدُ قَبُولُ الْعُذْرِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْمَنْزَلَةِ وَالْوَجَاهَةِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ بِالشَّرِّ؛  
لَأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَمَرَنَا بِإِقَالَةِ عَثْرَاتِهِ بِقَوْلِهِ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ»<sup>(٣)</sup> عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا  
الْحُدُودَ»<sup>(٤)</sup>.

ومن شوارد العباس بن الأحنف - عفا الله عنه - قوله:

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ      وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ  
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى      يُفَارِقُكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ  
وقال أبو العتاهية - رحمه الله -:

خَلِيلِي إِنْ لَمْ يَغْتَفِرْ كُلَّ وَاحِدٍ      عِثَارَ أَخِيهِ مِنْكُمْ فَتَرَاغِمًا

(١) الإقالة: الصَّفْحُ عَنِ الذَّنْبِ.

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَصَحَّحَهُ  
الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٩٥٤)، وَ«صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٠٧١).

(٣) قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي تَعْرِيفِ ذَوِي الْهَيْئَاتِ - كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٣٨) -: «إِنَّهُمْ الَّذِينَ  
لَيْسُوا يُعْرَفُونَ بِالشَّرِّ، فَيَزِلُّ أَحَدُهُمُ الزَّلَّةَ».

(٤) (صحيح) رواه أبو داود (٤٣٧٥) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٣٨).

وَمَا يَلْبُثُ الْخِلَانُ إِنْ لَمْ يُجَوِّزَا      كَثِيرًا مِنَ الْمَكْرُوهِ، أَنْ يَتْبَاعَظَا  
خَلِيلِيَّ بَابِ الْفَضْلِ أَنْ يَتَوْهَبَا      كَمَا أَنَّ بَابَ النَّقْصِ أَنْ يَتْقَارَظَا

وقال الحريري - رحمه الله - واحسن:

سَامِخَ أَخَاكَ إِذْ خَلَطَ      مِنْهُ الْإِصَابَةَ بِالْغَلَطِ  
وَتَجَمَّافَ عَنْ تَعْنِينِهِ      إِنْ زَاغَ يَوْمًا أَوْ قَسَطَ<sup>(١)</sup>  
وَأَقْنِ الْوَفَاءَ<sup>(٢)</sup> وَلَوْ أَخْلَ      بِمَا اشْتَرَطْتَ وَمَا اشْتَرَطُ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ      مُهَذَّبًا رُمْتَ الشُّطَطَ<sup>(٣)</sup>  
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُ      وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُ

وَمِنْ ذُرْرِ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ - رحمه الله - قَوْلُهُ:

«مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ عَنْ إِسَاءَتِهِ؛ فَإِنَّ التَّوَاضِعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ  
مَعْذِرَتِهِ - حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلًا - وَتَكِلُ سَرِيرَتَهُ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ  
- ﷺ - فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ فِي الْغَزْوِ، فَلَمَّا قَدِمَ جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ  
أَعْذَارَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -»<sup>(٤)</sup>.

وَعَلَامَةُ الْكَرَمِ وَالتَّوَاضِعِ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْخَلَلَ فِي عُدْرِهِ، لَا تُوقِفُهُ عَلَيْهِ، وَلَا تَحَاجُّهُ،  
وَقُلْ: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ، وَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ، وَالْمَقْدُورُ لَا مَدْفَعَ لَهُ،  
وَنَحْوَ ذَلِكَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) قسط: جار وظلم.

(٢) أقن الوفاء: احصل عليه واحتويه.

(٣) الشطط: مجاوزة الحد.

(٤) انظر «صحيح البخاري» (٤٤١٨).

(٥) «تهذيب مدارج السالكين».



ومن درر أبي الحسن الطبراني - عفا الله عنه - :  
أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلٌ ذُخْرًا  
وإن بَانَتِ إِسَاءَتُهُ فَهَبْهَا  
تَرِيدُ مُهَذَّبًا لَا عَيْبَ فِيهِ

وقال غيره:

إِذَا مَا أَتَى الْجَانِي مُقِرًّا بِذَنْبِهِ  
فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَسَاءَةِ وَالْخَطَا  
يَسُومُكَ عَفْوًا<sup>(١)</sup> لَا تُحَيِّبُ لَهُ ظَنًّا  
فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ التَّجَاوُزِ وَالْحُسْنَى

وقال الشافعي - رحمه الله -:

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا  
لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ  
إِنْ بَرَّ<sup>(٢)</sup> عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرًا<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَرًا<sup>(٤)</sup>

مسك :

قال الحسن البصري - رحمه الله -: «أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْعَفْوُ».



(١) نابتك نائبة: أصابتك مصيبة.

(٢) يَسُومُكَ عَفْوًا: يسألك ويطلب منك.

(٣) بَرَّ: صدق.

(٤) فَجَرَ: كَذَبَ، وبأبُه دَخَلَ.

(٥) ديوان الشافعي (ص ٦٢) تحقيق البقاعي.

## تَوْقِيرٌ

إِنْ تَعَزَّزْتَ (١) وَلِي الْأَمْرِ وَتَوْقِيرُهُ  
أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ،  
لَأَنَّ مِنَ التَّمَسُّسِ ذَلِكَ فَقَدْ تَفَرَّ (٢)  
بِالْإِسْلَامِ تَفَرَّةً.



قال رسول الله - ﷺ - : «سِتُّ خِصَالٍ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَّا كُنْتُ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ...» وذكر منه: «رَجُلٌ أَتَى إِمَامًا لَا يَأْتِيهِ إِلَّا لِيُعَزِّرَهُ وَيُوقِّرَهُ، فَإِنْ مَاتَ فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ، كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ» (٣).

وقال - ﷺ - : «سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَعَزَّزُوهُ، مَنْ التَّمَسَّ ذَلِكَ، تَفَرَّ تَفَرَّةً فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ، حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ» (٤).

قلت: لَا يَزَالُ دَابُّ أَهْلِ الْبِدْعِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا تَصِيدَ عَثَرَاتِ الْوَلَاةِ، وَنَشْرَهَا مِنْ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ وَمَجَالِسِ الْوَعْظِ، فَتَفَرُّوا فِي الْإِسْلَامِ تَفَرَّةً لَا تُسَدُّ، وَتَلْمُؤًا تُلْمَةً لَا تُصْلِحُ، وَتَنْكِبُوا طَرِيقَ سَلْفِهِمُ الصَّالِحِ، وَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ عَتَبُوا عَلَى أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ عَقِيلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تَقْبِيلَ يَدِ السُّلْطَانِ، حِينَ صَافَحَهُ!، وَحَقَّ لَهُ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ وَالِدِي فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَبَّلْتُ يَدَهُ، أَكَانَ خَطَاً، أَمْ وَقَعًا مَوْقِعَهُ؟»

(١) التَّعَزُّزُ: التَّعْظِيمُ وَالتَّفْخِيمُ.

(٢) تَفَرَّ: تَلَمَّ، وَبَابُهُ قَطَعَ.

(٣) (صحيح) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٢٢) عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١١٤٨).

(٤) (صحيح) أخرجه ابنُ أبي عاصمٍ فِي «السُّنَّةِ» (١٠٧٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ظِلَالِ الْجَنَّةِ» (٤٩٩).

قالوا، بلى.

قال، فالأبُ يُربِّي ولدهُ تربيةً خاصَّةً، والسُّلطانُ يُربِّي العالمَ تربيةً عامَّةً؛ فهو بالإكرامِ  
أولى<sup>(١)</sup>.

قلت: لو كُنْتُ أنا مكانه، لَقَبَلْتُ رِجله، إذا كان لا يَحْصُلُ تَعزيرُهُ وتَوْقيرُهُ إلا بذلك.

فوائد:

قال سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله -:

«لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالْعُلَمَاءَ، فَإِنْ عَظَّمُوا هَذَيْنِ؛  
أَصْلَحَ اللَّهُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَإِنْ اسْتَخَفُّوا بِهِدَيْنِ؛ أَفْسَدُوا دُنْيَاهُمْ  
وَأُخْرَاهُمْ». «تفسير القرطبي» (٥/٢٦٠-٢٦١).



(١) «بدائع الفوائد» (٣/١٧٦).

## إِسْرَارٌ

إِنَّ نَصِيحَةَ السُّلْطَانِ مِنَ الْمَتَابِرِ  
وَالْمَخَافِ وَالضُّخْفِ الشِّيَارَاتِ  
لَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ، بَلْ فَضِيحَةٌ  
عَلَى الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّهَا تَقْرِيبُهُمْ  
بِالْتِمَادِي عَلَى أَمْرِهِمْ لِحَاجَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> وَحَزْدًا<sup>(٢)</sup>.

فَاهِمٌ

قال رسول الله - ﷺ - : «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». أو: «أَمِيرٍ جَائِرٍ»<sup>(٣)</sup>.  
فـ«عِنْدَ» تُفِيدُ الظَّرْفِيَّةَ الْمَكَانِيَّةَ أَي: عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، مَعَ الرَّفْقِ؛ إِذْ  
لَيْسَ سُلْطَانُكَ بَشَرٌ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَلَا أَنْتَ بِأَفْضَلٍ مِنْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .  
وَلتَكُنِ النَّصِيحَةُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سُلْطَانِكَ، كَمَا فَعَلَ سَلْفُكَ؛ فَإِنَّهُ يَسْعُكَ مَا وَسِعَهُمْ.  
فَقَدْ قِيلَ لِأَسَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟». فَقَالَ: أَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ  
إِلَّا أَسْمِعُكُمْ؟!، وَاللَّهِ، لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ  
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وَهَا هُوَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَضَعُ إِشَارَةً عَلَى طَرِيقٍ مَنْ أَرَادَ نَصِيحَةَ سُلْطَانِهِ - بِقَوْلِهِ:  
«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عِلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ، فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ

(١) الْحَرْدُ: كَالغَضَبِ زَنَةً وَمَعْنَى.

(٢) اللَّجَاجُ - بِالْفَتْحِ - : الْخِصُومَةُ.

(٣) (صَحِيح) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٤٤) عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي  
«صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٣٦٥٠).

(٤) قَالَ الْأَلْبَانِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي التَّعْلِيقِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «يَعْنِي الْمُجَاهِرَةَ عَلَى الْأَمْرَاءِ فِي الْمَلَأِ؛ لِأَنَّ  
فِي الْإِنْكَارِ جَهَارًا مَا يُخْشَى عَاقِبَتُهُ، كَمَا انْفَقَ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى عُثْمَانَ جَهَارًا، إِذْ نَشَأَ عَنْهُ قَتْلُهُ».

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٩٨، ٣٢٦٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٩) - وَاللَّفْظُ لَهُ - عَنْ أَسَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

قَبْلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ» (١).

وَرَجَمَ اللَّهُ ابْنَ الْوَرْدِيِّ الْقَائِلَ:

جَانِبِ السُّلْطَانِ، وَاحْذَرْ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

سَبَابُكَ ذَهَبِيَّةٌ،

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا يُتَعَرَّضُ لِلسُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ سَيْفَهُ مَسْلُولٌ» (٢).

«الآداب الشَّرْعِيَّة» (١/١٩٧).



(١) (صحيح) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤٠٣-٤٠٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٧، ١٠٩٦)

من حديث عياض بن غنم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وصححه الألباني في «ظلال الجنة».

(٢) مَسْلُولٌ: مُتَنَزَّعٌ مِنْ غِمْدِهِ، وَقَدْ سَلَّ سَيْفَهُ مِنْ بَابِ رَدٍّ.

## سِرٌّ

إِنَّ النَّصِيحَةَ لَا تَكُونُ نَصِيحَةً بِاللُّغَةِ  
حَتَّى يَبَالِغَ النَّاصِحُ فِي كِتْمَانِهَا جَهْدًا،  
لَأَنَّ مَنْ نَضَحَ أَخَاكَ سِرًّا فَقَدْ نَضَحَهُ،  
وَمَنْ نَضَحَهُ عِلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ.



وما مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُرَبِّينَ يُذَرِّكُونَ عَاقِبَةَ كِتْمَانِ النَّصِيحَةِ، وَيُذَرِّكُونَ - أَيْضًا -  
غَيْبَ إِعْلَانِهَا، وَقَالَ أَنْ تَجِدَ عَالِمًا عَامِلًا إِلَّا وَهُوَ يُسِرُّ النَّصِيحَةَ<sup>(١)</sup>.

قال ابن المبارك - رحمه الله -: «كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكرهه، أمره في ستره،  
ونهاه في ستره، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما  
يكرهه، استغضب أخاه، وهتك ستره»<sup>(٢)</sup>.

وعن سفيان قال: «جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فساره بشيء، ثم  
انصرف.

فقال: أتذرون ماذا قال لي؟.

قال: رأيتك التمت أمس وأنت تصلي»<sup>(٣)</sup>.

(١) قد تكون هناك حالات نادرة تستلزم إعلان النصيحة بعد إقرارها: كأن يكون هناك شخص يجاهر  
بالمُنْكَرَاتِ، فيُسْرَلُهُ، فإذا لم يقبل تغلن النصيحة؛ حتى لا يظن الناس أن هذا ليس بمُنْكَرٍ؛ لأنهم لا  
يعلمون إنكار أحد.

وغير ذلك من الأمور التي يعرفها العلماء، ويعرفون المصالح والمفاسد، وليس هنا محل بسطها، ومكان ذلك كُتِبَ  
«الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»، على أنها حالة نادرة، وإلا فالأصل الإسراع.

(٢) «روضة العقلاء» (ص ٣٢٩).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٢٩).

ومن درر المثقب الفندي،

فإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقِّ      فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِيئِي  
وَالَا فَاطَّرِحْنِي وَأَتَّخِذْنِي      عُدُوا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي  
وَإِنِّي لَوْ تُعَانِدُنِي شِهَالِي      عِنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

وقال يحيى بن معين - رحمه الله - : «خَطَأُ عَفَانَ فِي نَيْفٍ<sup>(١)</sup> وَعِشْرِينَ حَدِيثًا، مَا أَعْلَمْتُ بِهِ أَحَدًا، وَأَعْلَمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَقَدْ طَلَبَ إِلَى خَلْفِ بْنِ سَالِمٍ أَنْ أَذْكَرَهَا، فَمَا قُلْتُ لَهُ، وَمَا رَأَيْتُ عَلَى رَجُلٍ - قَطُّ - خَطَأً إِلَّا سَتَرْتُهُ، وَمَا اسْتَقْبَلْتُ رَجُلًا فِي وَجْهِهِ بِمَا يَكْرَهُ، وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ، فَإِنْ قَبِلَ، وَإِلَّا تَرَكْتُهُ»<sup>(٢)</sup>.  
ومن ذرر العلامة ابن خزيمة:

«إِذَا نَصَحْتَ فَاَنْصَحْ سِرًّا لَا جَهْرًا، وَبِتَعْرِيزٍ لَا تَضْرِيحَ، إِلَّا لِمَنْ لَا يَفْهَمُ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّضْرِيحِ لَهُ، وَلَا تَنْصَحْ عَلَى شَرْطِ الْقَبُولِ مِنْكَ، فَإِنْ تَعَدَّيْتَ هَذِهِ الْوَجُوهَ، فَأَنْتَ ظَالِمٌ لَا نَاصِحٌ، وَطَالِبُ طَاعَةٍ وَمُلْكٍ لَا مُؤَدِّي حَقِّ أَمَانَةٍ وَأُخُوَّةٍ، وَلَيْسَ هَذَا حُكْمَ الْعَقْلِ، وَلَا حُكْمَ الصَّدَاقَةِ، لَكِنْ حُكْمَ الْأَمِيرِ مَعَ رَعِيَّتِهِ، وَالسَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ»<sup>(٣)</sup>.  
وله ذر الشافعي حين قال:

تَعَمَّدُنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي      وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ  
فَإِنَّ النَّصِيحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ      مِنْ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ  
فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي      فَلَا تَجْزَعُ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةً<sup>(٤)</sup>

(١) النَيْفُ - بِالْفَتْحِ وَ الْمَثْقَلَةُ أَنْصَحُ مِنَ الْمُخَفَّفَةِ - : الْعَدَدُ الَّذِي بَيْنَ عِقْدَيْنِ.

(٢) «تهذيب التهذيب» (١١/٢٥٠).

(٣) «الأخلاق والسير» (ص ١٢٢ - ١٢٣).

(٤) «ديوان الشافعي» (ص ١١٣).

كلمات نورانية ،

قال ابن حبان - رحمه الله - :

« علامة النَّاصِحِ - إذا أراد زينةَ المنصوح له - أن ينصحه سرًّا، وعلامة مَنْ أراد شينه أن ينصحه علانيةً » روضة العقلاء، (ص ٣٢٩).





## إبز النخل

إِنَّ الْجَزْحَ وَالتَّعْدِيلَ  
عَلِمَ لَهُ أَضْوَأُهُ، وَلرِجَالِهِ  
شُرُوطُهُمْ، فَمِنْهَا: الْعِلْمُ، وَالوَزْعُ،  
فَمَنْ عَرَى مِنْ ذَلِكَ، فَمَجَانِيقُ  
النَّاسِ بِالْمِرْصَادِ.



قَدْ كَانَ السَّلْفُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ - يَخَافُونَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، مَعَ تَسْتُمِهِمْ<sup>(١)</sup>  
ذِرْوَةَ<sup>(٢)</sup> سَنَامِ هَذَا الْعِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَصْدِ سِوَى الذَّبِّ عَنِ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِيْنَ،  
وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُهُمْ لَيْسَ كَخَوْفِنَا نَحْنُ، وَأَيْنَ  
نَحْنُ مِنْهُمْ؟!.

يَقُولُ أَبُو الرَّبِيعِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَلْخِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ: «إِنَّا لَنَطْعُنُ عَلَى أَقْوَامٍ لَعَلَّهُمْ قَدْ حَطُّوا رِحَالَهُمْ فِي  
الْجَنَّةِ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ».

قَالَ ابْنُ مَهْرُوبٍ: «فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ - وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ كِتَابَ  
الْجَرِّحِ وَالتَّعْدِيلِ - فَحَدَّثْتُهُ بِهَذَا، فَبَكَى وَارْتَعَدَتْ يَدَاؤُهُ، حَتَّى سَقَطَ الْكِتَابُ مِنْ يَدِهِ،  
وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَسْتَعِيدُنِي الْحِكَايَةَ»<sup>(٤)</sup>.

فِيَا أَخِي، الْكَلَامُ فِي الرَّجَالِ عَقَبَاتٌ، وَأَيُّ عَقَبَاتٍ؟!، فَإِنْ كُنْتَ - لِابُدِّ - فَاعْلَا

(١) المَجَانِيقُ: جَمْعُ مَنْجَنِيْقٍ - بِالْفَتْحِ - ، وَهِيَ آلَةٌ تُرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ، كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الزَّمَنِ  
الْمَاضِي، وَلَمَّا ظَهَرَتِ الْمَدَافِعُ أَعْنَتَتْ عَنْهَا. وَالْمُرَادُ: أَنَّ دَعْوَتَهُمْ صَائِبَةٌ؛ لِأَنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ لَا تُرَدُّ.

(٢) تَسْتَمُّ الشَّيْءَ: عِلَاؤُهُ.

(٣) ذِرْوَةُ الشَّيْءِ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - : أَعْلَاهُ، وَالْجَمْعُ ذُرَا.

(٤) «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٩٥/١١).

فَبِحَقِّهِ وَإِلَّا فَلَا، فَانْجُ بِنَفْسِكَ، وَلَا إِخَالَكَ نَاجِيًا.  
فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَانِي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا

قال الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي - رحمه الله - :

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، إِنَّ فِي مَجَالِ الْكَلَامِ فِي الرَّجَالِ عَقَبَاتٍ، مُرْتَقِيهَا عَلَى خَطَرٍ،  
وَمُرْتَقِيهَا هَوَى لَا مَنَجَى لَهُ مِنَ الْإِثْمِ وَلَا وَزَرَ»<sup>(١)</sup>؛ فَلَوْ حَاسَبَ نَفْسَهُ الرَّامِي أَخَاهُ: مَا  
السَّبَبُ الَّذِي هَاجَ ذَلِكَ، لِتَحَقُّقِ أَنَّهُ الْهَوَى الَّذِي صَاحِبُهُ هَالِكٌ»<sup>(٢)</sup>.  
وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَأْخُذُهُ غَفْلَةٌ نَتِيجَةٌ سَوَابِقَ تَمَنُّعِهِ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ، فَيُظَنُّ أَنَّ  
غَيْرَهُ هُوَ الصَّوَابُ، فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِ، وَمَتَى عَجَلْتَ عَلَيْهِ، تَعْجَلِ الدُّعَاءَ وَاسْتَرْوَحَ  
إِلَيْهِ.

وَرُبَّمَا كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ لَا تَحْتَمِلُ الْفُرْقَةَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْجَهَابِدَةِ، وَهِيَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مُحْتَمَلَةٌ،  
فَيَقَعُ الْفَأْسُ عَلَى الرَّأْسِ.

وَرُبَّ ظُلُومٍ قَدْ كُفِّتُ بِحَرْبِهِ  
فَمَا كَانَ لِي الْإِسْلَامُ إِلَّا تَعَبُّدًا  
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومُ وَخَلْفَهُ  
مُرِيثَةٌ<sup>(٤)</sup> بِالْهُدْبِ<sup>(٥)</sup> مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ  
فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ أَيُّ وُقُوعٍ  
وَأَدْعِيَةٌ لَا تُتَّقَى بِدُرُوعٍ  
سِهَامٌ دُعَاءٍ مِنْ قِسِيٍّ<sup>(٣)</sup> رُكُوعٍ  
مُنْهَلَةٌ<sup>(٦)</sup> أَطْرَافَهَا بِدُمُوعٍ<sup>(٧)</sup>

(١) الْوَزْرُ - بِالْتَّحْرِيكِ - : الْمَلْجَأُ وَالْمُعْتَصِمُ.

(٢) «الرَّدُّ الْوَافِرُ» (ص ١٣).

(٣) الْقِسِيُّ - بِكَسْرِ الْقَافِ وَضَمِّهَا - : جَمْعُ قَوْسٍ، وَهِيَ آلَةٌ عَلَى هَيْئَةِ هَلَالٍ، تُزْمَى بِهَا السِّهَامُ.

(٤) رَيْشُ السِّهَمِ فَهُوَ مُرَيْشٌ: أَلْزَقَ عَلَى مُؤَخَّرَتِهِ الرَّيْشَ؛ لِتَزِيدَ سُرْعَتَهُ.

(٥) الْهُدْبُ - بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ - : شَعْرُ الْأَجْفَانِ، وَاحِدَتُهَا هَيْاءٌ، وَجَمْعُهَا أَهْدَابٌ.

(٦) مُنْهَلَةٌ: مُتْسَاقِطَةٌ بِشِدَّةٍ، يُقَالُ: انْهَلَّ الْمَطَرُ، إِذَا اشْتَدَّ انْصِبَابُهُ.

(٧) «دِيوان الشَّافِعِيِّ» تحقيق د/ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ حَفَّاجِي (ص ١٠٩).

وَرُبَّمَا عَجِلْتَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، وَمَتَى تَبَيَّنَ لَهُ بَقِيَ فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ الْعَارِضُ،  
فَمَتَى يَزُولُ؟!، وهذا - ونحوه - يَحْصُلُ بَيْنَ أَصْحَابِ الْمَنْهَجِ الْوَاحِدِ.  
بَلْ وَيَحْصُلُ بَيْنَ النَّظَرَاءِ<sup>(١)</sup> مَا هُوَ أَذْهَى مِنْ ذَلِكَ وَأَمْرٌ مِنْ وَقِيعَةِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ؛  
فَيَفْرَحُ الْعَدُوُّ، وَيَسْتَأْءُ الصَّدِيقُ.

كَمَنْ عَنَاهُمْ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رحمته - بقوله: «يَتَزَاوَرُونَ فِيغْتَابُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَطْلُبُ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَوْرَةَ أَخِيهِ، وَيَحْسُدُهُ إِنْ كَانَتْ نِعْمَةً، وَيَشْمَتُ بِهِ إِنْ كَانَتْ مَعْصِيَةً، وَيَتَكَبَّرُ  
عَلَيْهِ إِنْ صَحَّ لَهُ، وَيُخَادِعُهُ لِتَحْصِيلِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَيَأْخُذُ عَلَيْهِ الْعَثْرَاتِ إِنْ أَمَكَنَ،  
هَذَا كُلُّهُ يَجْرِي بَيْنَ الْمُتَمَيِّنِ إِلَى الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ، لَا الرَّعَاعِ<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

## سَبَائِكُ ذَهَبِيَّةٌ :

قال الإمام الذهبي - رحمته - :

«الْكَلَامُ فِي الرَّجَالِ لَا يُجُوزُ إِلَّا لِتَامِّ الْمَعْرِفَةِ تَامِّ الْوَرَعِ»

«مِيزَانُ الْاِعْتِدَالِ» (٤٦/٣).



(١) النَّظَرَاءُ: جَمْعُ نَظِيرٍ، وَهُوَ الْمِثْلُ.

(٢) الرَّعَاعُ - بَزْنَةُ سَحَابٍ - : سُقَاطُ النَّاسِ وَسَفَلَتُهُمْ، الْوَاحِدُ رَعَاعَةٌ.

(٣) «صَيْدُ الْخَاطِرِ» (ص ٢٢٥).

## دَفَاءُ الْمَشَاعِرِ

إِنْ تَذَكَّرْتَ الْمَخَاطِبَ بِصِلَةِ تَرْبُطِكَ  
بِهِ يَهَيِّجُ مَشَاعِرَ الْقَرَابَةِ فِي  
نَفْسِهِ، مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْإِنْسَانِ،  
وَشِدَّةِ الْأَسْرِ.

فَأَهْمُ

تَهَيِّجُ مَشَاعِرَ الْقَرَابَةِ أَنْ تُذَكَّرَ الْقَرِيبَ بِصِلَةِ تَرْبُطِكَ بِهِ دُونَ أَنْ تُسَمِّيَهُ بِاسْمِهِ، قَدْ  
تَكُونُ كَلِمَةً عَابِرَةً، لَكِنَّهَا تَطْرُبُهَا الْقُلُوبُ، وَتَهْتَرُ لَهَا الْمَشَاعِرُ، وَتَهْفُو إِلَيْهَا النُّفُوسُ.  
وَهُوَ خُلِقَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.  
فَهَا هُوَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ لِأَبِيهِ:

يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ﴿مريم: ٤٢﴾.  
يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ - رحمه الله -: «فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره، ولم يُسمِّه  
باسمه»<sup>(١)</sup>.

وَيُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَسْتَعْمِلُ رَابِطَةَ الْمُصَاحِبَةِ فِي السَّجْنِ، فَيَقُولُ لِصَاحِبِيهِ: يَا يَصْحَجِي السَّجْنِ  
أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴿يوسف: ٣٩﴾.  
وَنَبِيْنَا مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُخَاطِبُ قَوْمَهُ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا قَوْمِ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي  
الْقُرْبَى ﴿الشورى: ٢٣﴾.

أَيُّ: إِلَّا أَنْ تُرَاعُوا الْقَرَابَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَتُوَادُّونِي بِسَبَبِ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «بدائع الفوائد» (٣/١٣٣).

(٢) انظر «فقه الأخلاق» للعدوي (٦/٢).

فإذا كان لك قريب من جهة الأم، أو جهة الأب مَهْمَا عَلَا<sup>(١)</sup>، فناديته بما يُذكره بصلة القرابة - فسيهترُ لقولك ويَطْرَبُ.

وكم كان للأنصار من قُوَّةِ الذِّكَاةِ وحُسْنِ الأدبِ في خطابهم حين قالوا لرَسُولِ اللَّهِ - في شأنِ العَبَّاسِ - **هَيْهَاتَهُ** - : ائذَنْ لَنَا، فَلَنْتُرِكَ لابنِ أُخْتِنَا<sup>(٢)</sup> عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ. فقال: «لا تَدْعُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ - **هَيْهَاتَهُ** - : «قال ابنُ الجَوْزِيِّ: وإنما قالوا ابنِ أُخْتِنَا؛ لتكونِ المنَّةُ عليهم في إطلاقه، بخلاف ما لو قالوا عمك، لكانتِ المنَّةُ عليه - **عَلَيْهِ** - ، وهذا من قُوَّةِ الذِّكَاةِ، وحُسْنِ الأدبِ في الخطاب، وإنما امتنع النبي - **عَلَيْهِ** - من إجابتهم؛ لئلا يَكُونَ في الدين نوعُ مُحَابَاةٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) لاشك أن حُكْمَ القرابة من ذوي الأرحام لا يَخْتَلِفُ في هذا عن العَصَبَاتِ لأدلةٍ منها: ما أخرجه الترمذي (٣٧٥٢) بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٥١): أنه - **عَلَيْهِ** - قال في شأنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - **هَيْهَاتَهُ** - : «هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي امْرُؤُ خَالِهِ». قال أبو عيسى الترمذي - **هَيْهَاتَهُ** - : «وكان سعد من بني زُهْرَةَ، وكانت أم النبي - **عَلَيْهِ** - من بني زُهْرَةَ؛ لذلك قال النبي - **عَلَيْهِ** - : هَذَا خَالِي».

وأخرج مسلم (٢٣١٥) عن أنس - **هَيْهَاتَهُ** - قال: قال رسول الله - **عَلَيْهِ** - : «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامًا، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ».

وأخرج الترمذي (٣٨٩٤) بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٥١) عن أنس - **هَيْهَاتَهُ** - : أن النبي - **عَلَيْهِ** - قال لصفية بنت حبي: «إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيِّ، وَإِنَّ عَمَّكَ لِنَبِيِّ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيِّ».

(٢) قال الحافظ - **هَيْهَاتَهُ** - في «فتح الباري» (٥/٤٧٤): «والمُرَادُ: أَنَّهُمْ أَخْوَالُ أَبِيهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّ أُمَّ الْعَبَّاسِ هِيَ نُبَيْلَةُ - بالنون والمثناة مُصَغَّرَةٌ - بنتُ جَنَانَ - بالجيم والنون - ، وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك: أن أمَّ عبدِ الْمُطَّلِبِ منهم؛ لَأَنَّهَا سَلِمَى بنتُ عَمْرٍو بنِ أَحِيحَةَ - بمهملتين مُصَغَّرَةٌ - ، وهي من بني النَّجَّارِ، ومثله ما وقع في حديث الهجرة: أنه - **عَلَيْهِ** - نَزَلَ عَلَى أَخْوَالِهِ بني النَّجَّارِ، وَأَخْوَالُهُ - حقيقة - إنما هم بنو زُهْرَةَ، وبنو النَّجَّارِ أَخْوَالُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». أهـ.

(٣) رواه البخاري (٢٥٣٧).

(٤) «فتح الباري» (٥/٤٧٤).

وقال - رحمه - «وأراد المصنّف - أي: البخاري - بإيراده هنا - أي: هذا الحديث -  
: الإشارة إلى أن حكم القرابة من ذوي الأرحام في هذا لا يختلف من حكم القرابة من  
العصبات، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

أَبْقِظْ شُعُورَكَ بِالْمَحَبَّةِ إِنْ غَفَا      لَوْلَا الشُّعُورُ النَّاسُ كَانُوا كَالدَّمَى  
أَحْبَبُ فَيَغْدُو الْكُوخُ كَوْنَا نَيْرًا      وَأَبْغَضُ فَيُمْسِي الْكُونُ سِجْنَا مُظْلِمًا  
لَوْ تَعَشَّقُ الْبَيْدَاءُ أَصْبَحَ رَمْلُهَا      زَهْرًا، وَصَارَ سَرَابُهَا الْخَدَّاعُ مَا  
وَالَهُ بِوَرْدِ الرَّوْضِ عَنْ أَشْوَائِهِ      وَانْسَ الْعَقَارِبَ إِنْ رَأَيْتَ الْأَنْجُمَا

خُلَاصَةٌ :

مَا أَفَادَنِي التَّجَارِبُ؛ أَنَّهُ لَا مِفْتَاحَ أَنْسَبَ لِقُلُوبِ الْقَرَابَةِ مِنْ تَذْكِيرِهِمْ بِصِلَةٍ  
تَرْبِطُكَ بِهِمْ.



(١) المرجع السابق (٥ / ٤٧٤).

## جَزْحُ الْمَشَاعِرِ

إِنَّ أَسَاسَ عَدَاوَةِ الْأَعْدَاءِ  
جَزْحُ الْمَشَاعِرِ، فَمَتَى جَزَحْتَ  
أَخَاكَ، فَسَارِعْ إِلَى تَضْمِيدِ ذَلِكَ  
الْجَزْحِ بِاعْتِدَارٍ بِالِغِ، قَبْلَ  
أَنْ يَبِيَّتَ الْجِرْحُ عَلَى فَسَادٍ،  
وَإِيَّاكَ وَالِاعْتِدَارَ الْبَارِدَ.



وهانا أسوق لك بعض الفوائد، عسى الله أن ينفعك بها:

اعلم أن جرحك لأخيك يتولد منه الغضب، والغضب وليد الحقد، ما لم تُطْفِئ ذلك الغضب باعتذار، ولا يُعْتَبَ على من خضع في اعتذاره؛ فدية الجرح غالية، وعاقبتها حميدة، ومتى عقلت عن الاعتذار، فالحقد حاصل، ولا بُدَّ، ومن الحقد يتولد الحسد الذي هو منشأ العداوة، وهذه الثلاث ذرية بعضها من بعض.

يقول الغزالي - رحمه الله -:

«اعلم أن الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فهو (أي: الحسد) فرع فرعه، والغضب أصل أصله - أي: أصل الحقد -»<sup>(١)</sup>.  
ومتى أهملت تضميد ذلك الجرح، فاحذر صاحبه على نفسك، وليكن أول ما تقوم به أن ترى هل هو من الصنف المتسامح، فتصله بالإحسان إليه تارة، وطلب الإقالة تارة؟، فإذا شاهدت أن ذلك لا يزيده إلا حقدًا «وشاهد البغض اللحظ»<sup>(٢)</sup> - فإياك وإياه.  
إذا ما الجرح رُمَّ<sup>(٣)</sup> على فسادٍ تبين فيه تفريط الطبيب<sup>(٤)</sup>

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٩٨).

(٢) «المنتقى من أمثال النبلاء» (ص ٦٦) للمؤلف.

(٣) رُمَّ: أُضْلِحَ.

(٤) «ديوان البخري» (١/ ١٠٠).

وسه در صالح بن عبد القدوس القائل:

إِذَا وَتَرْتِ امْرُءًا فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَمْ يَحْصُدْ بِهِ عِنَبًا

ومن دُرر ابن الجوزي - رحمه - : «إِذَا آذَيْتَ شَخْصًا، فَقَدْ غَرَسْتَ فِي قَلْبِهِ عِدَاوَةً، فَلَا تَأْمَنُ تَفْرِيعَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا يُظْهِرُ مِنْ وُدٍّ، وَإِنْ حَلَفَ، فَإِنْ قَارَبْتَهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ»<sup>(١)</sup>.

وقال - رحمه - : «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَبْلَهُ مِمَّنْ يُسِيءُ إِلَى شَخْصٍ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ إِلَى قَلْبِهِ بِالْأَذَى، ثُمَّ يَصْطَلِحَانِ فِي الظَّاهِرِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الْأَثْرَ مُحِيٌّ بِالصُّلْحِ، وَخُصُوصًا الْمُلُوكَ؛ فَإِنَّ لَذَاتِهِمُ الْكُبْرَى أَلَّا يَرْتَفِعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، وَلَا يَنْكَسِرَ لَهُمْ غَرَضٌ، فَإِذَا جَرَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَنْجَبِرْ».

واعْتَبِرْ هَذَا بِأَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيَّ، فَإِنَّهُ غَضَّ مِنْ قَدْرِ الْمَنْصُورِ قَبْلَ وَلايَتِهِ، فَحَصَلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ فَفَقَّتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي التَّوَارِيخِ، رَأَى جَمَاعَةً قَدْ جَرَى لَهُمْ مِثْلُ هَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ أَسَاءَ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ أَنْ يَقَعَ فِي يَدِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا رَامَ التَّخْلُصَ لَمْ يَقْدِرْ؛ فَيَتَّقَى نَدْمَهُ عَلَى تَرْكِ احْتِرَازِهِ، وَحَسْرَتَهُ عَلَى مَسَاكِنِ الضَّمَانِ لِلسَّلَامَةِ - أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا يَلْقَى بِهِ مِنَ الْهَوَانِ وَالْأَذَى.

وَمِنْ هَذَا الْجِنْسِ الْأَصْدِقَاءُ الْمُتَمَاثِلُونَ، فَإِنَّكَ مَتَى آذَيْتَ شَخْصًا، وَبَلَغَ إِلَى قَلْبِهِ أَذَاكَ - فَلَا تَتَّقِ بِمَوَدَّتِهِ؛ فَإِنَّ أَذَاكَ نُصِبَ عَيْنِهِ، فَإِنْ لَمْ يَحْتَلِ عَلَيْكَ، لَمْ يَصِفْ لَكَ، وَلَا تُخَالِطُ إِلَّا مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِحُبِّ، فَهُوَ لَمْ يَرِ مِنْكَ شَيْئًا فِي نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ الْوَالِدُ وَالزَّوْجَةُ وَالْعَامِلُونَ، وَيَلْحَقُ بِهَذَا أَنْ أَقُولَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ تُعَادِيَ أَحَدًا، وَلَا أَنْ تَقُولَ فِي حَقِّهِ؛ فَرُبَّمَا صَارَتْ لَهُ دَوْلَةٌ فَاشْتَفَى، وَرُبَّمَا احْتَجَّجَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَالْعَاقِلُ يُصَوِّرُ فِي نَفْسِهِ كُلَّ مُمَكِّنٍ، وَيَسْتُرُّ مَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْبُغْضِ وَالْوُدِّ، وَيُدَارِي مَعَ الْغَيْظِ وَالْحَقْدِ، هَذِهِ مَسَاوِرُ<sup>(٢)</sup> الْعَقْلِ إِنْ قُبِلَتْ<sup>(٣)</sup>.

(١) «صيد الخاطر» (٢٠٣).

(٢) الْمَسَاوِيرُ: جَمْعُ مَسْوَرٍ - بَزَنَةٌ مَنِيرٌ - ، وَهُوَ مُتَّكَأٌ مِنْ جِلْدٍ.

(٣) المرجع السابق (ص ٢٢١ - ٢٢٢).



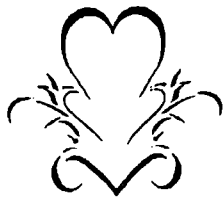
قال البهاء زهير - عفا الله عنه - :

تَرَى كَمْ قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ  
وَعَرَّضْتُمْ بِأَقْوَالِ  
نَبَشْتُمْ بَيْنَنَا شِيَا  
وَطَرَقْتُمْ إِلَى الْغَدْرِ  
وَكَمْ جَاءَتْ لَنَا عَنْكُمْ  
وَأَشْيَاءُ رَأَيْنَاهَا  
فَلَا وَاللَّهِ مَا يَجُـ  
قَرَأْنَا سُورَةَ السُّلُـ  
فَرَجُلٌ تَطْلُبُ الْمَسْعَى  
وَعَيْنٌ تَتَمَنَّى أَنْ  
وَنَفْسٌ كُلَّمَا اشْتَاقتْ  
وَكَانَتْ بَيْنَنَا طَاقٌ  
وَفِي النَّفْسِ بَقَايَا مِنْ  
فَلَوْ أَرْضَتْكُمْ الْأَرْوَا

أُمُورٌ مَا عَاهَدْنَاهَا  
وَمَا نَجَّهَلْ مَعْنَاهَا  
ءَ كُنَّا قَدْ دَفَنَّاهَا  
طَرِيقًا مَا سَلَكْنَاهَا  
أَحَادِيثٍ رَدَدْنَاهَا  
وَقُلْنَا مَا رَأَيْنَاهَا  
سُنُّ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرَاهَا  
نِ عَنْكُمْ بَلْ حَفِظْنَاهَا  
إِلَيْكُمْ قَدْ مَنَعْنَاهَا  
تَرَاكُمْ قَدْ غَضَضْنَاهَا  
لِلْقِيَاكُمْ زَجَرْنَاهَا  
فَهَانَ حُنُّ سَدَدْنَاهَا  
أَحَادِيثٍ خَبَأْنَاهَا  
حُ مِنْنا لَبَدَلْنَاهَا

سخر:

بَنِي عَمَّنَا، إِنَّ الْعَدَاوَةَ شَأْنُهَا ضَعَائِنُ تَبْقَى فِي نُفُوسِ الْأَقَارِبِ



## الكلب المعلم

إن الكلب المعلم أذرى بفنون التعامل،  
وعدل السيرة ما لا يذريه كثير من الناس،  
فاذا ما صنع أخذهم ضيعة،  
لظهر منه الوجه الجميل،  
وقررته في القلوب من الفضل ما لا يذرك.



ما يمنحك أن تتعلم من هذا الحيوان ما ينفعك ولا يضرّك، فكثير من العقلاء -  
كما يقول ابن القيم - رحمه الله -: «يتعلم من الحيوانات البهم أموراً تنفعه في معاشه،  
وأخلاقه، وصناعته، وحربه، وحزمه، وصبره»<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -: «رأيت كلاب الصيد إذا مرّت بكلاب المحلة  
تبحثها، وبالغت وأسرعت خلفها، وكأنها تراها مكرمة مجللة، فتحسدها على ذلك.  
ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت إليها، ولا تعيرها الطرف، ولا تعدّ نباحها  
شيئاً، فرأيت أن كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب؛ لأن تلك غليظة  
البدن، كثيفة الأعضاء، لا أمانة لها، وهذه لطيفة دقيقة الخلق، ومعها آداب قد ناسبت  
خلقها اللطيفة، وإنها تحبس الصيد على مالكها خوفاً من عقابه، أو مراعاة شكر  
نعمته عليها، فرأيت أن الأدب وحسن العشرة تتبع لطافة البدن، وصفاء الروح،  
وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده، ولا يعدّه شيئاً، إذ هو في واد، وذاك في  
واد، ذاك يحسده على الدنيا، وهذا همته الآخرة؛ فيا بُعد ما بين الواديين!»<sup>(٢)</sup>.

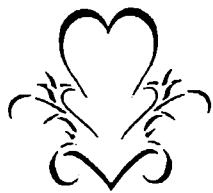
(١) «شفاء العليل» (ص ١٦٣).

(٢) «صيد خاطر» (ص ٣٥٦).

الْكَلْبُ أَكْرَمَ عَشِيرَةٍ      وَهُوَ النِّهَائَةُ فِي الْخَسَاسَةِ  
 مِنْ مَعْشَرٍ طَلَبُوا الرِّئَاسَةَ      قَبْلَ تَحْقِيقِ الرِّئَاسَةِ

خَاطِرَةٌ:

تَعَلَّمْ مِنَ الْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ مَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْسُدْكَ إِلَّا عَلَى الْعَقْلِ.



## اسبق أركك

إِنَّ الْأَقَارِبَ أَحْوَجُ النَّاسِ  
إِلَى حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَسَعَةِ الْخُلُقِ،  
وَالضَّفْحِ عَنِ الْفِتْرَاتِ، وَالْقَضِ  
عَنِ الْمَسَاوِي. مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ.



الْقَرِيبُ مَنْ قَارَبَكَ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ أَوْ الصَّيْرِ، رِعَايَةُ أَحْوَاهِمُ قَرَابَةٌ، صَلَاتُهُمْ دِيَانَةٌ،  
قَضِيْعَتُهُمْ كَبِيرَةٌ، التَّحْرِيشُ بَيْنَهُمْ جَرِيْمَةٌ، ظُلْمُهُمْ جُرْحٌ لَا يَنْدَمِلُ.

وِظْلُمٌ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً<sup>(١)</sup> عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ<sup>(٢)</sup> الْمُهْتَدِ<sup>(٣)</sup>

وَنَحْنُ نُحَذِّرُ مِنْ عِدَاوَةِ الْأَقَارِبِ؛ فَإِنَّمَا تَبْدَأُ هَيْئَةً، ثُمَّ تَصِيرُ مُسْتَحْكِمَةً، وَأَنَا أَخْبِرُكَ:  
أَنَّهُ كَانَ حَوْلَنَا أَخٌ عَاقِلٌ، قَالَ لِعَمٍّ لَهُ كَلِمَةٌ عَابِرَةٌ، مَا كَانَ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ أَنْ تَبْلُغَ مَبْلَغَهَا،  
فَأَخَذَهُ ذَلِكَ النِّعَمُ مِنْ بَيْتِهِ لَيْلًا، عَلَى أَسَاسٍ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ، وَفِي الطَّرِيقِ  
قَتَلَهُ شَرٌّ قَتْلَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِنَتَيْشَةِ الْكَلَابِ<sup>(٤)</sup>، وَالنَّاسُ لَا يَتَصَوَّرُونَ هَذَا مِنْهُ،  
مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ وُدٍّ يَعْجِزُ الْقَلَمُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهُ!

أَتَدْرِي مَاذَا قَالَ؟، إِنَّهُ قَالَ لَهُ: «أَذْهَبْ إِلَى الْقَرْيَةِ مَعَ أَهْلِكَ بِمَدْلَابِ سِكْمٍ هَذِهِ!» فَاعْتَبَرَهَا  
إِهَانَةً أَيْهَا إِهَانَةً، غَطَّتْ عَلَى حُرْمَةِ الْأَبْوَةِ، وَرِعَايَةِ حَوِّ الصُّحْبَةِ، وَالرُّودِ الْقَدِيمِ!

لِمَا هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِسْمَانُ!

(١) الْمَضَاضَةُ - بِالْفَتْحِ -: وَجَعُ الْمُصِيبَةِ.

(٢) الْحَسَامُ: السَّيْفُ الْقَاطِعُ.

(٣) الْمُهْتَدِ: السَّيْفُ الْمَسْرُوبُ إِلَى الْإِخْتِدَادِ صِنَاعَةً وَجُودَةً.

(٤) حَصَلَا أَنْ اجْتَرَأَتْ مَعَ أَهْلِي لَيْلًا مَكَانَ الْحَادِثِ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ وَقُوعِهِ، فَطَلَبَ أَهْلِي أَنْ نَسْلُكَ غَيْرَ تِلْكَ الطَّرِيقِ،  
فَقُلْتُ: تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وَطِيلَةَ الطَّرِيقِ كَانَتْ زَوْجَتِي تَلْفَتْ وَتَتَفَرَّجُ، فَقُلْتُ لَهَا: الشَّيْءُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ  
تَخَافَهُ هُوَ الْخَوْفُ، وَمَا زِلْتُ أَعْظَمُهَا فِي الْخَوْفِ، فَمَا سَكَنْتُ، وَقَدْ تَرَكَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةَ فِي نَفْسِي أَثْرًا بِالْعَا.

قال العلامة ابن الجوزي - رحمه الله -: «عداوة الأقراب صعبة، وربما دامت كحرب بكر وتغلب ابني وائل، وعبس وذبيان ابني بغيض، والأوس والخزرج ابني قيلة. قال الجاحظ: ركذت<sup>(١)</sup> هذه الحرب أربعين عامًا.

قلت: والسبب في هذا أن كل واحد من الأقراب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد؛ فيبغي لمن فضل على أقرابه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق بهم؛ لعله يسلم<sup>(٢)</sup>.  
قال البهاء زهير - رحمه الله -:

أَحْبَابَنَا بِاللَّهِ كَيْفَ تَغَيَّرَتْ	خَلَائِقَ غَرَفِينِكُمْ وَغَرَائِزُ
لَقَدْ سَاءَ الْعَتَبُ الَّذِي جَاءَ مِنْكُمْ	وَإِنِّي عَنْهُ لَوْ عَلِمْتُمْ لَعَاجِزُ
لَكُمْ عُدْرُكُمْ أَنْتُمْ سَمِعْتُمْ فَقَلْتُمْ	وَمُخْتَمَلٌ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ وَجَائِزُ
هَبُوا أَنْ لِي ذَنْبًا كَمَا قَدْ زَعَمْتُمْ	فَهَلْ ضَاقَ عَنْهُ حِلْمُكُمْ وَالتَّجَاوُزُ
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ جِئْتُمْ مِنْهُ تَائِبًا	كَمَا تَابَ مَنْ فَعَلَ الْخَطِيئَةَ مَاعِزُ
عَلَى أَنْبِي لَمْ أَرْضَ يَوْمًا خِيَانَةً	وَهَيْهَاتَ لِي وَاللَّهِ عَنِ ذَاكَ حَاجِزُ
وَبَيْنَ فُؤَادِي وَالسُّلُوءِ مَهَالِكٌ	وَبَيْنَ جُفُونِي وَالرُّقَادِ مَفَاوِزُ
وَإِنْ قُلْتُ وَأَشْوَاقَاهُ لِلْبَانِ وَالْحِمَى	فَإِنِّي عَنْكُمْ بِالْكِنَايَةِ رَامِزُ
دَعُونِي وَالْوَأْشِي فَإِنِّي حَاضِرٌ	وَصَوْتِي مَرْفُوعٌ وَوَجْهِي بَارِزُ
سِيذُكُمْ مَا يَجْرِي لَنَا مِنْ مَوَاقِفِ	مَشَايخُ تَبْقَى بَعْدَنَا وَعَجَائِزُ
بِرَبِّكَ لَا تَسْمَعُ مَقَالَةَ حَاسِدٍ	يُجَاهِرُ فَيَا بَيْنَنَا وَيُبَارِزُ
فَمَا شَاقَ طَرْفِي غَيْرُ وَجْهِكَ شَائِقٌ	وَلَا حَازَ قَلْبِي غَيْرُ حُبِّكَ حَائِزُ

(١) ركذت: طالت ودامت، وبأبه دخل.

(٢) «صيد الخاطر» (ص ٣٥٦).

سَأَكْتُمُ هَذَا الْعَتَبَ خَيْفَةً شَامِتٍ      وَأُوهِمُ أَنِّي بِالرِّضَا مِنْكَ فَائِزٌ  
فَلِي فِيكَ حُسَّادٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ      وَقَائِعُ لَيْسَتْ تَنْقِضِي وَهَزَاهِزُ  
وَإِنِّي لَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ لُمُخَادِعٌ      أَسْأَلُهُمْ طَوْرًا وَطَوْرًا أَنْاجِزُ<sup>(١)</sup>

مِنْ مَشْكَاتِ النَّبُوءَةِ ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَوَاهُ - : أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةَ أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَخْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ<sup>(٢)</sup> عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمْ<sup>(٣)</sup> الْمَلَّ<sup>(٤)</sup>، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ<sup>(٥)</sup>»، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ. «رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (٢٥٥٨).



(١) «ديوان البهاء زهير» ص ١٦٩-١٧٠ .

(٢) الجهل هنا: القبيح من القول.

(٣) تُسْفَهُمْ: تُطْعِمُهُمْ.

(٤) الْمَلَّ - بِالْفَتْحِ - : الرَّمَادِ الْحَارُّ، شَبَّهَ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَكْمِ بِمَا يَلْحَقُ أَكْلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَكْمِ.

(٥) ظهير عليهم أي: مُعِينٌ وَدَافِعٌ لِأَذَاهِمِ.

## أمانة النقص

إن الذي يذندن، جدي فلان، وخالي غلان،  
 وأنا ممن يقدمه السلطان،  
 وقبيلتنا كبيرة، بالمجد والكرم شهيرة  
 - جاعلا ذلك هجيرة - ما زاد على أن جعل نفسه  
 مسخرة، وإن اعتقد ذلك مقخرة.



الناس يكرهون مَدَحَ نَفْسِهِ، فكَيْفَ بَمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَوْرَادِهِ؟!، بل ذلك دَلِيلُ النَّقْصِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ النَّاقِصَ فِي أَصْلِهِ وَشَخْصِيهِ يُكْمِلُ نَقْصَهُ بِالْمَدْحِ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا. إِنَّمَا الْكَامِلُ - حَقًّا - مَنْ تَرَكَ لِسَانَ أَفْعَالِهِ تُتْرَجِّمُ عَنْ مَقَالِهِ، كَمَا قِيلَ:  
 وَمَا حَسَنٌ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَخْلَاقًا تَذْمُ وَتُمدِّحُ  
 وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا: «إِذَا غَابَ عَنكَ أَصْلُهُ، كَانَ دَلِيلَ أَصْلِهِ فِعْلُهُ».  
 وَتَقُولُ: «مَنْ طَابَ أَصْلُهُ، زَكِيَ فِعْلُهُ».  
 وَتَقُولُ: «أَصْلٌ رَاسِخٌ، وَفِعْلٌ شَامِخٌ».  
 وَيَقُولُ الشَّاعِرُ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى امْرِئٍ مَا أَصْلُهُ؟      وَانظُرْ إِلَى أَفْعَالِهِ ثُمَّ احْكُمِ<sup>(٢)</sup>  
 وَلِنَا أَنْ نَنْظُرَ بِهَاذَا كَانَ الْعَرَبِيُّ يَسُودُ قَوْمَهُ؟  
 فَهَلْ كَانَ يَعْتمِدُ عَلَى مَآثِرِ آبَائِهِ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ عِنْدَ الْعَجَمِ، وَانْتَقَلَتْ تِلْكَ النَّعْرَةُ<sup>(٣)</sup>  
 عَنْهُمْ إِلَى بَعْضِ جُهَالِ الْعَرَبِ؟!  
 إِنْ كُنْتَ تَسْمُو بِآبَاءِ ذَوِي نَسَبٍ      فَقَدْ صَدَقْتَ، وَلَكِنْ بِسَ مَا وَلَدُوا!

(١) يُقَالُ: هَذَا هَجِيرُهُ - بِكسْرِ الهاءِ والجيمِ مُشَدَّدةً - أَي: دَابُّهُ وَشَأْنُهُ.

(٢) «محاضرات الأدباء» (١/٦٩٩).

(٣) النَّعْرَةُ - بِزَيْتَةِ الهَمْزَةِ - : النَّخْوَةُ وَالْأَنْفَةُ وَالْكِبْرُ.

وقال آخر:

عَجِبْتُ لِدِي جَهْلٍ يَظُنُّ جُدُودَهُ      تُرْقِيهِ، وَالْمَرْفُوعُ بِالْفِعْلِ فَاعِلُهُ!  
وَمِنْ ذُرِّ الْعَلَامَةِ الْهَلَالِيِّ الْحَسَنِيِّ - ~~حجته~~ - قَوْلُهُ: بِإِذَا كَانَ يَسُودُ السَّيِّدُ عِنْدَ الْعَرَبِ؟  
بِانْتِسَابٍ إِلَى بَيْتِ مَلِكٍ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ عِنْدَ الْعَجَمِ!  
الْجَوَابُ نَجْدُهُ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ، وَهُوَ دِيوَانُهُمْ.

قال الشاعر:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدٍ عَامِرٍ      وَفَارِسِهَا الْمَشْهُورِ فِي كُلِّ مَوْكِبٍ  
فَمَا سَوَّدْتَنِي عَامِرٌ عَنِ وِرَاثَةٍ      أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُوَ بِأُمَّ وَلَا أَبِ  
وَلَكِنِّي أَحْمِي حَمَاهَا، وَأَتَقِي      أَذَاهَا، وَأَزْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِي  
وقال غيره:

بِبَذْلِ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى      وَكَوْنِكَ إِسَاءَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ  
وقال آخر:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ، وَإِنَّمَا      يَسُودَانِنَا إِنْ يَسَرَّتْ غَنَمَاهُمَا<sup>(١)</sup>  
فَالسَّيِّدُ - عِنْدَ الْعَرَبِ - هُوَ الَّذِي يَحْمِي الْحِمَى بِشَجَاعَتِهِ، وَيَبْذُلُ الْقِرَى<sup>(٢)</sup> بِكَرَمِهِ، وَيَحْلُمُ  
عَلَى الْجَاهِلِ، وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومَ، وَيُكْرِمُ الْيَتِيمَ، وَيُعِينُ الضَّعِيفَ، فَمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ وَمَا  
وَالآهَاءِ، وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَتَمَسَّكَ بِهِ - فَهُوَ السَّيِّدُ الْمَفْضَلُ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُ فِي ذَلِكَ. أَهْ  
ثُمَّ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الدِّينِ وَالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ عَلَى عِزَّتِهِ، وَغُرْبَةِ أَهْلِهِ؟!، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
- ﷺ - يَقُولُ: «انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ،  
حَتَّى عَدَّ تِسْعَةَ، فَمَنْ أَنْتَ - لَا أُمَّ لَكَ<sup>(٣)</sup> -؟!».

(١) يَسَّرَ الْغَنَمُ: كَثُرَ لَبَنُهَا أَوْ نَسَلُهَا.

(٢) الْقِرَى - بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ - : طَعَامُ الضِّيَافَةِ.

(٣) لَا أُمَّ لَكَ أَيُّ: أَنْتَ لَقِيطٌ لَا تُعْرِفُ لَكَ أُمَّ.



قال: أنا فلانُ بنُ فلانِ ابنِ الإسلام.

فأوحى الله إلى موسى: أن قلْ لهذينِ المنتسبينِ: أمّا أنتَ - أيها المنتسبُ إلى تسعةِ في النارِ - فأنتَ عاشرُهُم في النارِ، وأمّا أنتَ - أيها المنتسبُ إلى اثنينِ في الجنةِ - فأنتَ ثالثُهُما في الجنةِ<sup>(١)</sup>.  
ويقولُ - عليه السلام - «لَيَنْتَهينَ أقوامٌ يفتخرونَ بأبائِهِم الذينَ ماتوا، إنّما هُم فحْمُ جهنّمِ، أو ليكوننَّ أهونَ على الله من الجعلِ<sup>(٢)</sup> الذي يدهدهُ<sup>(٣)</sup> الخِرَاءَ بأنفِهِ، إنّ الله قد أذهبَ عنكم عبيةَ<sup>(٤)</sup> الجاهليّةِ، وفخرَها بالآباءِ، إنّما هو مؤمنٌ تقى، وفاجرٌ شقى، الناسُ كلُّهُم بنو آدمَ، وآدمُ خلقَ من تُرابٍ»<sup>(٥)</sup>.

قال ابنُ الوردي:

لا تَقُلْ أَضلي وَفَضلي أَبداً  
قَدْ يَسُودُ المَرْءُ مِنْ دُونِ أبٍ  
إنّما الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ، وما  
قِيمةُ الإنسانِ ما يُجسِنُهُ  
وَقَالَ آخَرُ:

لَيْسَ الفَتَى مَنْ قال: كانَ أبِي  
إنّما الفَتَى مَنْ قال: هَنا

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (١٢٨/٥) عن أبي بن كعب - رضي عنه -، وصححه الألباني في «الصحيح» (١٢٧٠).

(٢) الجعل - بزنة صرد - : دويبة سوداء تأكل العذرة، يقال لها الخنفساء، كانت العرب إذا ذمت شخصاً شبهته بها، والجمع جعلان - بالكسر - .

(٣) يدهده: يدرج.

(٤) العيبة - بضم العين وكسرهما، وتشديد الباء المكسورة والياء المفتوحة: الكبر والفخر والنخوة.

(٥) (حسن) أخرجه الترمذي (٣٩٥٥) عن أبي هريرة - رضي عنه -، وحسنه الألباني في «غاية المرام» (٣١٢).

وقال آخر،

فلا تحسب الأنساب تُنجيك من لظى  
أبو لهب صب في النار وهو ابن هاشم  
ولو كنت من قيس وعبد مدان  
وسلمان في الفردوس من خرسان

قلت؛ وهنالك نوع من الفخر يستخدمه الأذكياء، ولا يفهمه إلا أمثالهم، وهو: أن يذمَّ  
غيره؛ لترفع نفسه، وقل مثل ذلك في القبائل والعشائر والبطن، وهو خلق فاش في  
الناس غالب عليهم، قد شاهدنا وبلونا، ولا يتصف به إلا أهل السلاطة والوقاحة  
من العيابين.

ومثل هؤلاء تلفظهم القلوب، كما يلفظ البحر الجيف!

ولله ذر القابل:

وما عبّر الإنسان عن فضل نفسه  
بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

جواهر،

قال الزمخشري - غفر الله له - :

«الأصيل من رسخ في ثرى الطاعة عرقه، والمقدم من أحرز قصب السبق  
سبقة»<sup>(١)</sup> «أطواق الذهب» (ص ١٠٩).



(١) قولهم: أحرز قصب السبق: أضله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبه، فمن سبق اقتلعها  
وأخذها؛ ليعلم أنه السابق من غير نزاع، ثم كثر حتى أطلق على المتبرز والمُسْتَمِر.

## بَابُ الرَّاحَةِ

إِنَّ الْاَلْتِقَاتِ لِكَلَامِ النَّاسِ  
وَذَمَّهُمْ إِيَّاكَ يُورِثُ حُزْنَ الْقَلْبِ  
وَضَجْرَةَ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ آفَاتٌ  
مُنْهَكَةٌ مُهْلِكَةٌ لِلْجَسَدِ وَالْخَاطِرِ مَعًا.

فَاهِمُ

الرَّاحَةُ بَتَّامِهَا فِي اطِّرَاحِ الْمُبَالَاةِ بِكَلَامِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ فِي الْاَلْتِقَاتِ إِعَانَةً لِلْخَصْمِ،  
وَمَنْ مَنَّا يَرْضَى إِعَانَةَ خَصْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ؟!.

وَمِنْ دُرَرِ الْعَلَامَةِ ابْنِ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللهُ - قَوْلُهُ: «بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ الْعَقْلِ وَالرَّاحَةِ، وَهُوَ:  
اطِّرَاحُ الْمُبَالَاةِ بِكَلَامِ النَّاسِ، وَاسْتِعْمَالُ اللَّامُبَالَاةِ بِكَلَامِ الْخَالِقِ - عَزَّ وَجَلَّ -، بَلْ هَذَا  
بَابُ الْعَقْلِ كُلِّهِ، وَالرَّاحَةِ كُلِّهَا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ: «مَنْ حَقَّقَ النَّظَرَ، وَرَاضَ نَفْسَهُ عَلَى السُّكُونِ إِلَى الْحَقَائِقِ - وَإِنْ آلَتْهَا فِي أَوَّلِ  
صَدْمَةٍ - كَانَ اغْتِبَاطُهُ بِذَمِّ النَّاسِ إِيَّاهُ أَشَدَّ وَأَكْثَرَ مِنْ اغْتِبَاطِهِ بِمَدْحِهِمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ مَدْحَهُمْ  
إِيَّاهُ إِنْ كَانَ بِحَقٍّ، وَبَلَغَهُ مَدْحُهُمْ لَهُ - أَسْرَى ذَلِكَ فِيهِ الْعُجْبُ، فَأَفْسَدَ بِذَلِكَ فِضَائِلَهُ،  
وَإِنْ كَانَ بِيَاظٍ، فَبَلَغَهُ فَسْرُهُ - فَقَدْ صَارَ مَسْرُورًا بِالْكَذِبِ، وَهَذَا نَقْصٌ شَدِيدٌ.

وَأَمَّا ذَمُّ النَّاسِ إِيَّاهُ فَإِنْ كَانَ بِحَقٍّ فَبَلَّغَهُ، فَزُبِّيَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى تَجَنُّبِهِ مَا يُعَابُ عَلَيْهِ،  
وَهَذَا حَظٌّ عَظِيمٌ؛ لَا يَزْهَدُ فِيهِ إِلَّا نَاقِصٌ، وَإِنْ كَانَ بِيَاظٍ، فَبَلَغَهُ فَصَبْرًا، اِكْتَسَبَ فَضْلًا  
زَائِدًا بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَكَانَ - مَعَ ذَلِكَ - غَانِيًا؛ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ حَسَنَاتٍ مِّنْ ذَمِّهِ بِالْبَاطِلِ،  
فِيَحْظِي بِهَا فِي دَارِ الْجَزَاءِ، أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى النَّجَاةِ بِأَعْمَالٍ لَمْ يَتَّعَبْ فِيهَا، وَلَا تَكَلَّفَهَا،  
وَهَذَا حَظٌّ عَظِيمٌ؛ لَا يَزْهَدُ فِيهِ إِلَّا مَجْنُونٌ.

(١) «الأخلاق والسير» (ص ٨٠).

وأما إن لم يبلغه مدح الناس إياه، فكلامهم وسكوتهم سواء، وليس كذلك ذمهم إياه؛ لأنه غانم للأجر على كل حال، بلغه ذمهم أو لم يبلغه<sup>(١)</sup>.

فائدة ذهبية،

وأما الخطابي - رحمه الله - فيسوق لك فائدة ذهبية، فلا تعزب<sup>(٢)</sup> عنك؛ فربما لا تجدها عند غيره.

قال: «وسأفيدك فائدة - يا أخي - يجلب نفعها، وتغظم عائدتها، وما أقولها إلا عن ود لك، وشفقة عليك؛ فإن البلوى في معاشره أهل زمانك عظيمة، فاستعن بها على ما يلقاك من أذاهم، فإنك لا تخلو من قلبه، وإن سلمت من كثيره؛ وذلك أنك قد ترى الواحد بعد الواحد منهم يتكالب على الناس، ويتسفه على أعراضهم، وينبج فيها نباح الكلب، فيهمك من شأنه ما يهمك، ويسوءك منه ما يسوءك، إلا أن يكون رجلاً فاضلاً يرجي خيره، ويؤمن شره؛ فيطول في أمره فكرك، ويدوم به شغل قلبك؛ فأزح هذا العارض عن نفسك بأن تعده - على الحقيقة - كلباً خلقه!، وزد به في عدد الكلاب واحداً، ولعلك قد مررت - مرة من المرات - بكلب من الكلاب ينبج ويعوي، وربما كان - أيضاً - قد يساور<sup>(٣)</sup> ويعقر<sup>(٤)</sup>، فلم تحدث نفسك في أمره بأن يعود إنساناً ينطق ويسبح، فلا تتأسف له ألا يكون دابة تركب، أو شاة تحلب؛ فاجعل هذا المتكلب كلباً مثله، واسترخ من شغله، وازبح مؤونة الفكر فيه، وكذلك فليكن عندك منزلة من

(١) المرجع السابق (ص ٨٠ - ٨١).

(٢) فلا تعزب أي: فلا تغب، وبأبه دخل وجلس.

(٣) يساور: يواكب ويتور.

(٤) يعقر: يجرح، وبأبه ضرب.

جَهْلَ حَقِّكَ، وَكَفَرَ مَعْرُوفَكَ، فَاحْسِبْهُ حِمَارًا، أَوْزِدْ بِهِ فِي عَدَدِ الْعَانَةِ<sup>(١)</sup> وَاحِدًا، فَبِمِثْلِ  
هَذَا تَتَخَلَّصُ مِنْ آفَةِ هَذَا الْبَابِ وَغَائِلَتِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ<sup>(٢)</sup>.  
قُلْتَ: قَلَّ أَنْ يَخْلُوَ زَمَانٌ مِنْ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ يُنَاصِبُونَ غَيْرَهُمُ الْعِدَاءَ، وَعِدَاوَةُ  
اللِّسَانِ أَنْكَى مِنْ عِدَاوَةِ السِّنَانِ<sup>(٣)</sup>، وَمَنْ مِنَّا قَدْ سَلِمَ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ؟!.

وَبِهْ ذَرِ الْقَانِلَ:

وَلَيْسَ يَخْلُو الزَّمَانُ مِنْ شُغْلٍ فِيهِ، وَلَا مِنْ خِيَانَةٍ وَخَنَاءٍ<sup>(٤)</sup>  
مَا سَلِمَ اللَّهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ وَلَا نَبِيُّ الْهُدَى، فَكَيْفَ أَنَا؟!

حَلِيَّةٌ:

قال الإمام ابن حزم - رحمه الله -:

«مَنْ قَدَّرَ أَنَّهُ يَسْلَمُ مِنْ طَعْنِ النَّاسِ وَعَيْبِهِمْ فَهُوَ مَجْنُونٌ».

«الأخلاق والسَّير» (ص ٨٠).



(١) العانة: قَطِيعُ حُمْرِ الْوَحْشِ، وَالْجَمْعُ عُونٌ - بِالضَّمِّ - .

(٢) «العزلة» لأبي سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيِّ (ص ٧٦).

(٣) السَّنَانُ - بَزَنَةُ الْكِتَابِ - : نَضَلُ الرُّمْحِ، وَالْجَمْعُ أَسِنَّةٌ.

(٤) الْحَنَاءُ: الْفُحْشُ فِي الْمَنْطِقِ.

## أَدَبُ مَفْقُودٍ

إِنْ كِتْمَانَ السَّرْحَتَى عَنْ أَحْضَى  
النَّاسِ بِكَ فَضِيلَةَ تَامَةَ،  
تُكْسِبُكَ الْمُحِبَّةَ، وَتَكْسُوكَ الْمَهَابَةَ،  
وَتَرْفَعُ عَنْكَ الْمَلَامَةَ.



كِتْمَانُ السَّرِّ وَمَا أَدْرَاكَ مَا كِتْمَانُ السَّرِّ؟، أَدَبٌ عَظِيمٌ، وَخُلُقٌ رَفِيعٌ، لَكِنَّهُ غَرِيبٌ حَتَّى  
عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ.

تَسْتَوْدِعُ السَّرَّ غَيْرَكَ، ثُمَّ لَا تَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى تَجِدَهُ عَلَمًا فِي رَأْسِهِ نَارًا، تَسْتَشِيرُ  
أَخَاكَ فِي أَمْرٍ: كَزَوَاجٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ تَلْتَفِتُ كَالْمُسْتَوْدِعِ لِحَدِيثِكَ<sup>(١)</sup>، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ وَقَدْ  
ذَهَبَ مُسْتَشَارُكَ بِحَاجَتِكَ، وَرُبَّمَا خَطَبَ لَكَ أَوْ لَغَيْرِكَ.

وَأَذْكُرُ أَنِّي عَزَمْتُ عَلَى نَصِيحَةِ ذَاتِ شَأْنٍ لِمَكَانِ الْمَخَالَفَةِ، وَبَعْدَ اسْتِشَارَةِ تَقَدَّمْتُ  
إِلَيْهِ بِالنَّصِيحَةِ، فَقَالَ: «شَكَرَ اللَّهُ لَكَ الْفَضِيحَةَ»!

وَكُلُّ هَذَا يَحْصُلُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

وَأَيُّ رَجُلٍ يَشُمُّ رَائِحَةَ الْعِلْمِ يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْأَدَبِ.

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّ النَّاسَ يُحِبُّونَ! مَنْ تَدَثَّرَ بِهِ لَكَفَى، فَكَيْفَ وَفِيهِ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ،  
وَعُلُوِّ الْقَدْرِ، وَسَلَامَةِ الْعَرِضِ مَا فِيهِ؟!.

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣/٣٧٩) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٦٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٥٩) بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤٨٦)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (١٠٩٠) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ - ثُمَّ التَّفَتَ - فَهُوَ أَمَانَةٌ».

(٢) الْمُخْدَعُ - بَضْمُ الْمِيمِ وَكَسْرُهَا - : الْخِزَانَةُ.

عَلِيٍّ لِلسَّرِّ حَقٌّ لَا أُضِيفُهُ      أَسِيرُ صَدْرِي، وَإِنْ أَفْشَاءُ مُودِعُهُ  
خَلَّ لَهْ مُخَدَعًا" قَلْبِي فَعَيْهِ      حَتَّى نَسِبْتُ بِأَنَّ القَلْبَ مُخَدَعُهُ  
بَلْ أَقْدِفُ السَّرَّ فِي جَوْفِ الضَّمِيرِ، فَمَا      تَدْرِي خَوَاطِرُ فِكْرِي أَيْنَ مَوْضِعُهُ  
فِيَا أَخِي، إِذَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَن حَمْلِ سِرِّكَ، فَصَدْرُ مُسْتَوْدَعِهِ أَضِيقُ، فَإِنْ أَفْشَاءُ  
أَتَعَاتِبُهُ؟!، كَيْفَ وَقَدْ ضِغْتَ بِحَبِيبِهِ ذُرْعَا؟!.

قال غفرؤ بن العاص - جوهري - : «ما وَضَعْتُ سِرِّي عِنْدَ أَحَدٍ، فَلَمَنْتُهُ عَلَى أَنْ يُفْشِيَهُ،  
كَيْفَ الْوَمُءُ وَقَدْ ضِغْتُ بِهِ ذُرْعَا؟!» (١).

إِذَا المَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ      وَلا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ - فَجَوَّ أَحْمَقُ  
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ عَن سِرِّ نَفْسِهِ      فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السَّرَّ أَضِيقُ (٢)  
فَالْحَازِمُ مَنِ انْفَرَدَ بِسِرِّهِ، وَمَنِ نَوَابِغِ الحِكْمِ: «لَا تُنْكِحْ خَاطِبَ سِرِّكَ» (٣)، وَالمُتَشَوِّفُ  
المُتَطَّلِعُ إِلَى مَا عِنْدَكَ كَالذُّبَابِ، لَا يَحْتَفِظُ بِهَا أَخَذَهُ مِنْكَ بُرْهَةً.  
وَالمَرْأَةُ ضَعِيفَةٌ، فَلَا تُحْمَلُهَا مَا لَا تُطِيقُ؛ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: «السَّرُّ فِي صَدْرِ المَرْأَةِ كَالسَّمِّ،  
إِذَا لَمْ يَخْرُجْ قَتَلَهَا!».

وقالوا: «استودع المرأة الخرساء سرا، تنطق به».

وأجمعوا على أن السرَّ الوحيد الذي تستطيع أن تحتفظ به هو عمرها!

جَمَانُ

قال ابن المعتز - جوهري - :

«انفرد بسرِّك، ولا تُودِعُهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ، وَلا جَاهِلًا فَيُخُونُ»

«التَّمثِيلُ وَالمُحَاضِرَةُ» (ص ٢٤٧).

(١) «روضة العقلاء» (ص ١٨٨).

(٢) «ديوان الشافعي» (ص ٩٢) تحقيق البقاعي.

(٣) «التَّمثِيلُ وَالمُحَاضِرَةُ» (ص ٢٤٧).

## غزبة

إِنْ صِيَانَةَ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِ  
المُسْلِمِينَ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَأَجْمَلُ  
مِنْ ذَلِكَ صِيَانَةُ السَّمْعِ، لِقَلَّةِ  
مَنْ يَتَفَطَّنُ لَهُ، وَغَزْبَةَ أَهْلِهِ.



مِنْ حَقِّ إِخْوَانِكَ عَلَيْكَ عَدَمُ السَّحَابِ لِأَحَدٍ أَنْ يَذْكُرَهُمْ فِي حَضْرَتِكَ بِسُوءٍ، بَلْ مِنْ  
حَقِّهِمْ أَنْ تَتَوَلَّى الدَّفَاعَ عَنْهُمْ بِالْغَيْبِ، كَمَا تُدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ، فَإِنْ فَعَلْتَ  
ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ حَسَنِ، كُنْتَ أَهْلًا لِأَنْ يَرُدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِكَ حَرَّ السَّعِيرِ، وَجُزَيْتَ فِي الدُّنْيَا  
بِأَنْ يَنْصُرَكَ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ أَنْتَ أَحْوَجُ فِيهِ إِلَى النَّصْرَةِ، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرِضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ

عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابِي طَلْحَةَ - رضي الله عنهما - قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَا مِنْ أَمْرٍ

يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرِضِهِ - إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي  
مَوْطِنٍ - يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ.

وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرِضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ -

إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (٤٥٠/٦)، والتِّرْمِذِيُّ (١٩٣١)، وصَحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع»  
(٦٢٦٢).

(٢) (حسن) أخرجه أحمد (٣٠/٤)، وأبو داوُدَ (٤٨٨٤)، وحَسَّنَهُ الألبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع»  
(٥٦٩٠).



وَمَنْ عُرِفَ بِكِرَاهَةِ إِيْحَاشِ صَدْرِهِ عَلَى إِخْوَانِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَ فِي حَضْرَتِهِ -  
عَذَرَهُ النَّاسُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَجْلَوْهُ فَوْقَ إِجْلَالِهِمْ لَدِي سُلْطَانٍ مِنْهُمْ.

ومن روائع البهاء زهير - عفا الله عنه - قوله:

صَدِيقِي مَا هَذَا الْجَفَاءُ الَّذِي أَرَى  
لَكَ الْيَوْمَ أَمْرًا لَا أَشُكُّ يُرِيْبُنِي  
لَقَدْ نَقَلَ الْوَأَشُونَ عَنِّي بَاطِلًا  
كَأَنَّكَ قَدْ صَدَّقْتَ فِي حَدِيثِهِمْ  
وَقَدْ كَانَ قَوْلُ النَّاسِ فِي النَّاسِ قَبْلَنَا  
بِرَبِّكَ قَلِي مَا الَّذِي قَدْ سَمِعْتَهُ  
فَإِنْ كَانَ قَوْلًا صَحَّ أَنْ قُلْتَهُ  
وَهَبْ أَنَّهُ قَوْلٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ  
فَهَا أَنَا وَالْوَأَشِيُّ وَأَنْتَ جَمِيعُنَا

وَأَيْنَ التَّغَاضِي<sup>(١)</sup> بَيْنَنَا وَالتَّعَطُّفُ  
فَمَا وَجْهَكَ الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ  
وَمِلْتَ لِمَا قَالُوا وَزَادُوا وَأَسْرَفُوا  
وَحَاشَاكَ مِنْ هَذَا وَخَلَقَكَ أَشْرَفُ  
فَفَنَدَ بَعْقُوبُ وَسُرَّقَ يُوسُفُ  
فَإِنَّكَ تَدْرِي مَا تَقُولُ وَتُنْصِفُ  
فَلِلْقَوْلِ تَأْوِيلٌ<sup>(٢)</sup> وَلِلْقَوْلِ مَصْرَفُ  
فَقَدْ بَدَّلَ التَّوْرَةَ قَوْمٌ وَحَرَّفُوا  
يَكُونُ لَنَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَمَوْقِفٌ<sup>(٣)</sup>

سخر:

قال أبو الحسن الهاشمي - رحمه الله -:

وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَامِ  
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِيعَابِ الْقَبِيحِ  
مِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ  
حِ شَرِيكَ لِقَائِهِ فَاَنْتَبَهُ

«أدب الدنيا والدين» (ص ٢٨٤).

(١) التغاضي: التفاضل.

(٢) تأويل: تفسير وتصريف.

(٣) «ديوان البهاء زهير» ص ٢١٤.

## (١) سَبِّكَ مَنْ بَلَغَكَ الشُّبْنَا

إِنْ نَقَلَ السُّبَّ أَوْ فَجَّوهُ، كَالغَيْبِيَّةِ،  
أَوْ الْكَلَامِ الرَّذِيءِ. لَا يَحْسُنُ  
بِأَهْلِ الْعَقَّةِ وَالْمَرْوَةِ الْحَقَّةِ،  
فَالْبِضَاعَةُ السَّاقِطَةُ لَا يَحْمِلُهَا  
إِلَّا سَقَاطُ النَّاسِ وَهَمَلُهُمْ.

فَاهِمٌ

مَنْ مَنَّا يُحِبُّ أَنْ يُنْقَلَ إِلَيْهِ مَا يَحْزُنُهُ أَوْ يَسُوءُهُ؟!  
قَدْ هَيَّئُوكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْتَبًا بِنَفْسِكَ<sup>(١)</sup> أَنْ تَرعى مَعَ الْهَمَلِ  
وَلتَنْظُرْ إِلَى جِيلِ الصَّحَابَةِ، نَجِدُهُمْ يَتَسَابِقُونَ عَلَى مَاذَا؟!  
إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَابِقُونَ عَلَى حَمْلِ الْبِشَارَةِ لِغَيْرِهِمْ، فَبَشَّرَ اللَّهُ وُجُوهَ حَامِلِيهَا بِكُلِّ  
خَيْرٍ!.

فَإِذَا رُزِقَ أَخُوكَ نَجَاحًا أَوْ مَوْلُودًا، أَوْ قَدَّمَ لَهُ غَائِبٌ فَبَشَّرَهُ، تَلَقَّ مَيْمُونًا مُبَارَكًا،  
وَوَجَّهَكَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ.

وَإِذَا كَانَ لَكَ أَخٌ عَزِيزٌ تَرى، فِي أَهْلِهِ أَوْ أَبْنَائِهِ مَا يَدْعُوكَ لِنُصْحِهِ - فَتَجَنَّبِ  
التَّصْرِيحَ؛ فَمِنَ التَّصْرِيحِ مَا يَجْرَحُ، وَلَكِنْ لِنَقْلِ لَهْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي رَفَقٍ: تَعَاهَدُ أَهْلَكَ  
وَأَبْنَاءَكَ، وَعَوِّدُهُمُ الْخَيْرَ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ، وَتَحْيِرُهُمُ الْأَصْحَابَ ذَوِي السُّمْعَةِ الْجَيِّدَةِ  
فِي الْمَجْتَمَعِ، وَتَفَقُّدُ أَصْحَابِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا عَلَى خَيْرٍ وَصَلَّاحٍ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى  
غَيْرِ ذَلِكَ، فَاصْرِفْهُمْ عَنْهُمْ، وَفَقِّكَ اللَّهُ لِكُلِّ خَيْرٍ.

(١) «مجمع الأمثال»، (١/٣٧٢).

(٢) «فارتبًا بنفسك»: ارتفع بها، وبأبائه قطع.

ومتى رأيت ما يريب فانتبه؛ فإنَّ للنقلِ شروطًا لا يسلمُ حاملُهُ مِنَ المَعْرَةِ<sup>(١)</sup> إلاَّ بها.  
 وإذا سَمِعْتَ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَرْقُبُونَ اللَّهَ فِي إِخْوَانِهِمْ.  
 قال ابن خزيمة - رحمه الله - : «مَنْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ فِي امْرَأَةٍ صَدِيقِهِ قَوْلَ سَوَاءٍ، فَلَا يُخْبِرُهُ  
 بِذَلِكَ أَصْلًا، لَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ الْقَائِلُ عَيَّابَةً وَقَاعًا فِي النَّاسِ، سَلِطَ اللِّسَانِ، أَوْ دَافَعَ  
 مَغْرَمَ عَن نَفْسِهِ، يُرِيدُ أَنْ يَكْثُرَ أَمْثَالُهُ فِي النَّاسِ، وَهَذَا كَثِيرٌ مَوْجُودٌ»<sup>(٢)</sup>.  
 قلت: هذا واقع لا محالة، فالثقة إنما يأتي البيوت من أبوابها، بل يعالج الأمور في محلها،  
 وينصح لأهلها، ويستتر عليهم، ولا يرفع أمرهما إلا متى استغصى عليه، ورأى أن إصلاحه  
 لا يجدي معه إلا عصارب المنزل، وآخر الدواء الكي، وأين ذلك الرجل الثقة؟!  
 ولا أنصح بحمل رسالة لا تحمل البشارة والخير لأهلها، ومن فعل ذلك فلا يلومن  
 إلا نفسه.

وأنا أحدثك بقصة وقعت لي: كان لي أخ طلق زوجته، وهي ابنة عمنا، لا لعيب  
 فيها إلا لعدم وجود الألفة، فقد كانت ذات دين وخلق، فحملني أخي رسالة طلاقها،  
 فحملتها على مضض؛ لعلمي بالحال، ولأن الاستمرار على تلك الحال محال.  
 إذا لم تكن إلا الأسننة مركبًا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فلما أوصلت الرسالة لعمي، تغير علي على أسوأ ما يكون، وأنكرت وده ولطفه، وهو  
 من رباني صغيرًا، وإلى الآن وأنا أعاني ما أعاني.

وأنا أهدر نفسي وإياك من الدخول في أمر حتى نتبين عاقبته، ومن استطاع ألا يدخل  
 بين أحبائه ومعارفه فليفعل؛ فإن السعيد من اتعظ بغيره.

(١) المَعْرَةُ - بَزْنَةُ المَجْرَةِ -: الإثم.

(٢) «الأخلاق والسير» (ص ١٢٥).

قال السَّمَوِيُّ بْنُ عَادِيَاءَ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُ فِكْلُ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ  
وَأِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمًا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ<sup>(١)</sup> (٢)

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِعَادَةُ الْكَلَامِ الْمَذْكُورِ بِالْأَسَى وَالْحَزَنِ؛ فَلَا يَحْسُنُ إِعَادَتُهُ عَلَى مَسْمَعٍ  
مَنْ يَتَأَذَى بِسَمَاعِهِ.

وَانظُرْ إِلَى هَذَا الْجَوَابِ مِنْ وَخْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ قَاتِلِ حَمْزَةَ - رضي الله عنه - بَعْدَ مَا أَسْلَمَ،  
وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَائِلًا: «أَنْتَ وَخْشِيٌّ؟»  
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟». قَالَ: قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ<sup>(٣)</sup>.

فَلَمْ يُعِدْ وَخْشِيٌّ ذِكْرَ الْقَتْلِ عَلَى مَسَامِعِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، بَلْ قَالَ - عَلَى وَجْهِ  
الِإِجْمَالِ - : قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ.

وَبَنَحُو هَذَا الْأَنْصَارُ، لَمَّا تَكَلَّمَ بَعْضُهُمْ فِي قِسْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - غَنَائِمَ  
حُنَيْنٍ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟»  
وَكَانُوا لَا يَكْذِبُونَ، فَقَالُوا: هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ<sup>(٤)</sup>.

فَالْكَلَامُ الْمُؤْذِي الَّذِي يُذَكَّرُ بِالْمَآسِي وَالْآلَامِ لَا يُعَادُ وَلَا يُكْرَرُ، أَمَّا الْكَلَامُ الطَّيِّبُ  
فَيُعَادُ وَيُكْرَرُ؛ إِذِ السَّمَاعُ يُحِبُّ ذَلِكَ، وَيَرْغَبُ فِيهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ لَمَّا طُرِحَ  
سُؤَالٌ فِي قَوْلِ زَكَرِيَّا - عليه السلام - : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٥)، فَلَمَّا بَشَّرَ قَالَ:  
﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم: ٨).

(١) يَقُولُ: مَنْ لَمْ يُصَبِّرِ النَّفْسَ عَلَى مَكَارِهَا، فَلَا سَبِيلَ إِلَى اِكْتِسَابِ حُسْنِ الثَّنَاءِ، وَلَيْسَ مَعْنَى الضَّمِيمِ ضَمِيمَ  
الْغَيْرِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْتِفُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَعُدُّونَهُ تَذَلُّلًا.

(٢) «نَهَايَةُ الْأَرْبِ» (٣/ ٨٥).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٢).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٧٨).

فكيف سأل وقد سأل وهو كبيرٌ بدلالة قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: ٤).

ولما بُشِّرَ قال: ﴿إِنِّي أَكُونُ لِي غَلَمٌ﴾ (مريم: ٨)؟!.

كَيْفَ سَأَلَ؟!، ولم تعجَّب من الإجابة لما أُجيبَتْ؟!.

أجاب بعضُ المُفسِّرين بأجوبة، منها: أنه سأل كي يُعادَ عليه التَّبشِيرُ بِالغُلَامِ، وهذا ممَّ يُسَعِدُ وَيُسْرُّ. واللهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

ومن درر عبد الله بن طاهر:

فَهُوَ الشَّاتِمُ لَا مَنْ شَتَمَكَ	إِنَّ مَنْ بَلَغَ شَتْمًا عَنْ أَخٍ
إِنَّمَا اللَّؤْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ	ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ
ذَا وَفَاءٌ عِنْدَ مَنْ قَدْ ظَلَمَكَ	كَيْفَ لَمْ يَنْصُرْكَ إِنْ كَانَ أَخًا
نَمَّ فِيهِ فَأَعْلَمَنْ أَنْ يُرْغَمَكَ	إِنَّمَا رَامَ بِإِبْلَاحِ الَّذِي
إِنْ نَسَمَهُ بِهَوَانٍ أَكْرَمَكَ	فَأَهْنُهُ إِنَّهُ مِنْ لُؤْمِهِ

فُضُوصٌ :

قال ابن حزم - رحمه الله - :

« لا تَنْقُلْ إِلَى صَدِيقِكَ مَا يُؤْلِمُ نَفْسَهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَعْرِفَتِهِ؛ فَهَذَا فِعْلُ الْأَرَادِلِ ». «الأخلاق والسیر» (ص ١٢٥).



(١) انظر «فقه الأخلاق» (ص ٢٤٠ - ٢٤١).

## اجن الغسل، ولا تكسب الخلية

إن الغضبان تشتعل النار في أحشائه،  
ومتى خلصت إلى قلبه،  
رفع عنه القلم، وسقط عنه التكليف،  
ومتى كانت النار تطفأ بالنار،  
إنما تطفأ بالماء الذي هو ضدّها.



كثير من الناس لا يحسنوا التعامل مع الغضبان، بل إن بعضهم متى رأى اشتعال الغضب في أخيه، سارع إلى صب الزيت في النار لدفع مغرم عن نفسه وبعضهم يعتد بكل صغيرة وكبيرة من قوله، وهذا كثير موجود.

وبعضهم يرد عليه الصاع بصاعين، والكيل بكيلين، وما هكذا تورد الإبل!

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «متى رأيت صاحبك قد غضب، وأخذ يتكلم بها لا يصلح - فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصرًا<sup>(١)</sup>، ولا أن تؤاخذ به؛ فإن حال السكران، لا يدري ما يجري، بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها<sup>(٢)</sup>؛ فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر، ومتى أخذت في نفسك عليه، أو أجبت بمقتضى فعله - كنت كعاقل واجه مجنونًا، أو كمفيع عاتب مغمى عليه، فالذنب لك، بل انظر إليه بعين الرحمة، وتلمح تصرف القدر له، وتفرج في لعب الطبع به، واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر.

(١) الخنصر - بكسر الخاء والصاد وتفتح - : الإصبع الصغرى أو الوسطى.

(٢) يحسن ألا تذكر الغضبان بالله حال هيجان غضبه؛ لئلا يتكلم بما لا يحمد عقباه. قال النووي - رحمه الله - في «الأذكار» (ص ٨٥١): «روى النحاس عن أبي بكر محمد بن يحيى - وكان أحد الفقهاء الأدباء - أنه قال: يكره أن يقال لأحد عند الغضب: اذكر الله؛ خوفًا من أن يحمله الغضب على الكفر».

وأقل الأقسام أن تُسَلِّمَهُ فِيهَا يَفْعَلُ فِي غَضَبِهِ إِلَى مَا يَسْتَرِيحُ بِهِ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ يُنْبَغِي أَنْ يَتَلَمَّحَهَا الْوَالِدُ عِنْدَ غَضَبِ الْوَالِدِ، وَالزَّوْجَةُ عِنْدَ غَضَبِ الزَّوْجِ، فَتَتْرَكُهُ يَسْتَفِي بِهَا يَقُولُ، وَلَا تَعَوَّلْ عَلَى ذَلِكَ، فَسَيَعُودُ نَادِمًا مُعْتَذِرًا، وَمَتَى قُبِلَ عَلَى حَالَتِهِ وَمَقَالَتِهِ، صَارَتِ الْعَدَاوَةُ مُتَمَكِّنَةً، وَجَازَى فِي الْإِفَاقِ عَلَى مَا فَعَلَ فِي حَقِّهِ وَقَتَ السُّكْرِ. وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَمَتَى رَأَوْا غَضَبَانَا، قَابَلُوهُ بِمَا يَقُولُ وَيَعْمَلُ، وَهَذَا عَلَى غَيْرِ مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ، بَلِ الْحِكْمَةُ مَا ذَكَرْتُهُ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»<sup>(١)</sup>.

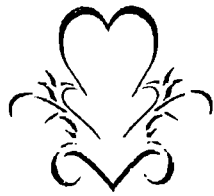
قال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله - :

دَعِ الْغَضَبَانَ يُخْرِجْ مَا لَدَيْهِ وَأَحْسَنْتِ الصَّنِيعَ إِذَا سَكَنَّا  
وَأَنْ جَادَلْتَهُ وَالنَّارُ فِيهِ فَأَنْتِ تَصُبُّ فِي النَّيْرَانِ زَيْتًا

مَرْجَانُ :

قال الأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

«مَنْ حَقَّ الصَّدِيقُ أَنْ يُحْتَمَلَ لَهُ ظُلْمُ الْغَضَبِ، وَظُلْمُ الدَّالَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَظُلْمُ  
الْهَفْوَةِ». «الصَّدَاقَةُ وَالصَّدِيقُ» (ص ٥٤).



(١) «صَيْدُ الْخَاطِرِ» (ص ٢٢١).  
(٢) الدَّالَّةُ: مَا تَدِلُّ بِهِ عَلَى حَمِيمِكَ.

## تَجْمُلُ

إن الإلحاح في الكلام أو السؤال  
مُنافٍ للشَّمْتِ، مُنافٍ للوقارِ، مُنافٍ  
للسكينة والمزوءة الحقة.



مَنْ حَدَّثَكَ بِأَدَبٍ، وَنَاقَشَكَ بِوَقَارٍ، وَاسْتَخْرَجَ عِلْمَكَ بِرَفْقٍ - تَجِدُ نَفْسَكَ فِي انْشِرَاحِ  
لِحَدِيثِهِ، بَلْ وَتَجِدُ عِلْمَكَ يَنْسَابُ إِلَيْهِ كَمَا يَنْسَابُ السَّيْلُ إِلَى الْحَدُورَةِ، وَإِنَّكَ لَيَأْخُذُكَ  
الدَّهْشُ، كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا مَعَكَ؟!.

فِي حِينِ أَنَّكَ لَتَعْجَبُ لِأَنَاسٍ يَسُدُّونَ النَّفْسَ، وَيُسْتَتُونَ الْفِكْرَ، حَتَّى إِنَّكَ لَتَخَالُ  
نَفْسَكَ أَمَامَهُمْ لَمْ تُؤْتَ عِلْمًا بَعْدُ!، فَيَهْلُ ثَمَّةَ فَرْقٍ؟!.

مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّهُ الْإِلْحَاحُ الَّذِي يَحْمِلُ السَّمْحَ عَلَى الشُّحِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُصَوِّرُ مَا نَرَاهُ قَوْلُ  
أَبِي نُوَّاسٍ:

تَأَنَّ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ؛ فَرُبَّمَا حَمَلَتْ مِنَ الْإِلْحَاحِ سَمْحًا عَلَى بُخْلِ (١)  
فَحَرِيٌّ بِالْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنِ الْإِلْحَاحِ؛ فَإِنَّهُ رَبِّمَا أَحَدَتْ لَهُ رِقَّةَ شَأْنٍ وَسُخْفَ  
مَنْزِلَةٍ.

وَأَقْبَحُ الْإِلْحَاحِ الْإِلْحَاحُ فِي الطَّلَبِ، فَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى أَحِيكَ حَاجَةً، فَتِلْكَ الْحَاجَةُ قَدْ فُرِغَ  
مِنْهَا لَكَ أَوْ لغيرِكَ، فَإِنْ كَانَتْ مِنْ نَصِيحِكَ، فَاطْلُبْهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تُزَيِّنُكَ؛ فَإِنَّ مَا لَا يَكُونُ  
مِنْ نَصِيحِكَ لَا يَكُونُ بِالْحَاحِ يَشِينُكَ، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَمَا لَكَ وَلِلْإِلْحَاحِ؟!.

(١) «ديوان أبي نواس» (ص ٥٩٩).

(٢) «العقد الفريد» (١/٢٥٣).



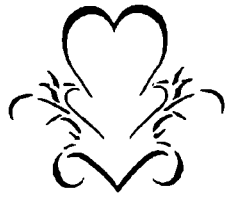
إِذَا كُنْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ فَجَمِّلْ      فِيهَا بِأَحْسَنِ مَا طَلَبْتَ وَأَجْمَلِ  
 إِنَّ الْكَرِيمَ أَخَا الْمُرُوءَةِ وَالنُّهَى      مَنْ لَيْسَ فِي حَاجَاتِهِ بِمُنْقَلٍ<sup>(٢)</sup>

سَبَائِكُ ذَهَبِيَّةٌ ،

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - :

«الْإِلْحَاحُ لَا يَصْلُحُ وَلَا يَجْمَلُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .»

«الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (٢/٢٨٦).



## رياض المتحابين

إن العتاب إذا وضع موضعه،  
واستغلت فرضته. كان رياض  
المتحابين، ومتى عري من ذلك،  
كانت ثمرته إلى العداوة.



للعتاب رجال ومقام وأحوال، فلا يصلح أن تعاتب ملولاً ولا متلوناً؛ فالملول لا يسري وذلك في نفسه سرياته، والمتلون لا يزجي وده، ولا يوثق بعهده؛ لأن مودته متلونة كتلون الحرياء.

إذا أنت عاتب الملول<sup>(١)</sup>، فإنها  
وهبه<sup>(٢)</sup> ازعوى<sup>(٣)</sup> بعد العتاب، ألم تكن  
تخط على صُحف من الماء أخرفا  
مودته طبعاً، فصارت تكلفاً<sup>(٤)</sup>

وغالب الناس من هذا الصنف، وهؤلاء الذين «معاتبتهم تبعث التجني<sup>(٥)</sup>»، والتجني يبعث المخاصمة، والمخاصمة تبعث العداوة، ولا خير في شيء ثمرته العداوة.  
فدع العتاب، فرب شر ر هاج أوله العتاب<sup>(٦)</sup>

وهؤلاء هم الذين شكى حالهم الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - بقوله:

«كان لنا أصدقاء وإخوان أعتد بهم، فرأيت منهم من الجفاء، وترك شروط الصداقة

(١) الملول: هو السريع التغير، والوشيك التكر.

(٢) هب: فعل أمر جامد بمعنى: ظن وافترض.

(٣) ازعوى: رجع رجوعاً حسناً.

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٧٥).

(٥) التجني: التجرم، وهو أن يدعي أحدهما على الآخر ذنباً لم يفعله.

(٦) «المستطرف» (١/ ٢٨٢).

والأخوة - عجائب، فأخذتُ أعتبُ، ثم انتبهتُ لنفسي، فقلتُ: وما ينفَعُ العتابُ؟!؛ فإنهم إن صلحوا فللعتاب لا للصفاء، فهَممتُ بمقاطعتهم، ثم تفكرتُ، فرأيتُ النَّاسَ بَيْنَ معارفٍ وأصدقاءٍ في الظاهر وإخوةٍ مباطنين، فقلتُ: لا تصلحُ مقاطعتهم، وإنما ينبغي أن تنقلهم من ديوان الأخوة إلى ديوان الصداقة الظاهرة، فإن لم يصلحوا لها، نقلتهم إلى جملة المعارف، وعاملتهم معاملة المعارف، ومن الغلط أن تعاتبهم»<sup>(١)</sup>.

ويحسُنُ العتابُ مع الأخ الوافي الذي حثك الشاعرُ على التمسك به بقوله:  
وإذا صفا لك من دهرِكَ واحدٌ فاشدُدْ عليه، وعشْ بذاك الواحدِ  
فَعِتَابُ مَنْ هَذَا حَالُهُ دَلِيلٌ عَلَى بَقَاءِ الْمُوَدَّةِ.

أُعَاتِبُ ذَا الْمُوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ إِذَا مَا سَامَنِي مِنْهُ اغْتِرَابُ  
إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَا وَدَادَ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ  
فالعتابُ في هذه الحالة حسنٌ جميلٌ، ومما يزيدُه جمالاً لزومُ الاعتدالِ، لا شطَطَ<sup>(٢)</sup>  
فيه، ولا يكونُ إلا على زلَّة.

قال الماورى - رحمه الله -:

«إِنَّ كَثْرَةَ الْعِتَابِ سَبَبٌ لِلْقَطِيعَةِ، وَأَطْرَاحُ جَمِيعِهِ دَلِيلٌ عَلَى قَلَّةِ الْإِكْتِرَاطِ بِأَمْرِ  
الصَّدِيقِ، وَقَدْ قِيلَ: عِلَّةُ الْمُعَادَاةِ قَلَّةُ الْمُبَالَاةِ. بَلْ تَتَوَسَّطُ حَالَتَا تَرْكِهِ وَعِتَابِهِ، فَيَسَامِحُ  
بِالْمُتَارِكَةِ، وَيَسْتَصْلِحُ بِالمُعَاتِبَةِ، فَإِنَّ المُسَامِحَةَ وَالاستِصْلَاحَ إِذَا اجْتَمَعَا، لَمْ يَلْبِثْ مَعَهَا  
نُفُورٌ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهَا وَجْدٌ»<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: لَا تُكْثِرَنَّ مُعَاتِبَةَ إِخْوَانِكَ؛ فَيَهُونَ  
عَلَيْهِمْ سُخْطُكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «صيد الخاطر» (ص ٢٩٤).

(٢) الشطط - بفتحين - : مُجَاوِزَةُ القَدْرِ المَحْدُودِ.

(٣) الوجد: الغضب.

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٧٨).

وله در البهاء زهير - عفا الله عنه - حيث قال :

تَعَالَوْا بِنَا نَطْوِي الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَى  
تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضا  
ولا تذكروا ذلك الذي كان بيننا  
لقد طال شرح القول والقيل بيننا  
متى يجمع الرحمن شملي بقربكم  
سأذكر إحسانا تقدم منكم  
من اليوم تاريخ المحبة بيننا  
فكم ليلة بتنا وكم بات بيننا  
أحاديث أخلت في النفوس من المنى

وقال - أيضا - :

مِنَ الْيَوْمِ تَعَارَفْنَا  
ولا كان ولا صار  
وإن كان ولا أبد  
فقد قيل لنا عنكم  
كفى ما كان من هجر  
وما أحسن أن نر

ولا سمع الواشي بذاك ولا درى  
وحشى كأن العهد لن يتغيرا  
على أنه ما كان ذنب فيذكر  
وما طال ذلك الشرح إلا ليقصرا  
ويصفوا لنا من عيشنا ما تكذرا  
وأترك إكرامه ما تأخرا  
عفا الله عن ذلك العتاب الذي جرى  
من الأنس ما ينسى به طيب الكرى  
والطف من مر النسيم إذا سرى

ونطوي ما جرى منا  
ولا قلتم ولا قلنا  
من العتب فبالحسني  
كما قيل لكم عنا  
وقد ذقتهم وقد ذقنا  
جع للوصل كما كنا

سبائك ذهبية :

قال ابن خزم - رحمه الله - :

«العتاب للصدیق كالسبب للسبيكة، فإما تصفو، وإما تطير».

«الأخلاق والسير» (ص ١١٥).

## لا تجادل

إِنَّ الْجَدَلَ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْعِنَادُ،  
الَّذِي مِنْ ثَمَرَتِهِ الْحَقْدُ،  
فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ تَبْقَى الْقُلُوبُ  
سَلِيمَةً لِبَعْضِهَا، فَلْيَتْرِكِ الْجَدَلَ.

فأهم

الجدل: أن يجتمع الحديث برجل ممارياً لجوجاً، يثبت لك أن الشمس غائبة، وأنت تراها طالعة، وقس على ذلك، فالحديث مع من هذا حاله يُسمى جدالاً، فإن جادلته بقي في قلبه ما يضرُّك ولا ينفعه..

والله - سبحانه وتعالى - يقول في هذا وأمثاله:

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨) (الزخرف: ٥٨).

وقال رسول الله - ﷺ -: «أبغضُ الرجال إلى الله الألدُّ الخصمُ»<sup>(١)</sup>.

وقال - ﷺ -: «ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى أتاهم، إلا أوتوا الجدلَ»<sup>(٢)</sup>.

فلكي تكسب قلبه؛ لا تُجادله، بل اتركه وما هو عليه، فسيعود إليك، سواء طال الزمان أو قصر.

ومن ذرر العلامة ابن حزم - رحمه الله - قوله:

«إياك ومخالفة الجليس، ومعارضة أهل زمانك فيما لا يضرُّك في دنياك، ولا في آخرتك، وإن قل؛ فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعداوة، وربها أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلاً».

(١) رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) عن عائشة - رضي الله عنها -.

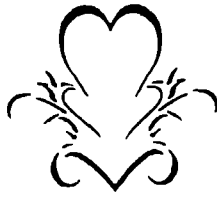
(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٢٥٢/٥ - ٢٥٦)، والتزمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه في المقدمة (٤٨) عن

أبي أمامة - رحمه الله -.

كلمات نورانية ،

قال مالك بن أنس - رحمه الله - :

«الجدالُ في الدينِ يُفْسِدُ المرءَ»<sup>(١)</sup>، وَيَذْهَبُ نُورُ الْعِلْمِ مِنَ الْقَلْبِ، وَيُقَسِّي وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ «ترتيب المدارك» (١/ ١٧٠).



(١) يُفْسِدُ المرءَ: يَجْعَلُهُ مُسْتَكْبِرًا.

## اخذُر الانزلاق

إِنَّ الْمَجَالِسَةَ تُؤَلِّدُ الْمَجَانِسَةَ،  
وَالضَّاحِبُ سَاحِبٌ، وَمَنْ  
عَاشَرَ مُتَلَوِّنًا، تَبَيَّنَ لَهُ  
-مَعَ الْأَيَّامِ- تَلَوْنُهُ.



الْمُتَلَوِّنُ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ، وَلَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ، يَدُورُ مَعَ مَصْلَحَتِهِ حَيْثُ دَارَتْ، وَيَمِيلُ  
مَعَ مَنَفَعَتِهِ حَيْثُ مَالَتْ، وَمَنْ جَلَسَ إِلَى نَافِخِ الْكَبِيرِ<sup>(١)</sup> أَصَابَهُ أَذَاهُ، وَمَنْ يَضْحَبِ الطَّيْبِ  
الْمُعَطَّرِ يَعْبَقُ.

قال ابن عقيل - رحمه الله - مُحذَرًا مِنْ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ: «أَخْذَرُ مَنْ إِذَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ حَالٌ  
مِنَ الْأَحْوَالِ اسْتَحَالَ<sup>(٢)</sup>، حَتَّى لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ تَقْيِيدُ الْعَقْلِ عَلَى السَّطْحِ<sup>(٣)</sup>، وَإِنْ غَضِبَ  
تَأَسَّدَ<sup>(٤)</sup>، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَا يَكْفُهُ عَنِ الصَّوْلِ<sup>(٥)</sup>، وَإِنْ اغْتَرَاهُ النَّهْمُ<sup>(٦)</sup>، خَرَجَ بِصُورَةٍ  
رَخِمَ<sup>(٧)</sup> سَاقِطًا عَلَى مَا وَجَدَ مِنَ الْمَطَاعِمِ، لَا يَلْوِي<sup>(٨)</sup> عَنِ تَنَاوُلِ الْمُسْتَقْذِرَاتِ فِي الطَّنْبِ،  
وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي الشَّرْعِ، وَإِنْ عَرَضَ بِهَا طَالِبُ الْحَقِّ، وَمُقْتَضَى الشَّرْعِ، رَاغَ<sup>(٩)</sup> رَوَّغَانَ

(١) الْكَبِيرُ - بِالْكَسْرِ - : مَنِفَعُ الْحَدَادِ، وَالْجَمْعُ أَكْبَارٌ، وَكَبِيرَةٌ - بَزْنَةٌ عِنَبَةٌ -، وَكَبِيرَانٌ.

(٢) اسْتَحَالَ: انْقَلَبَ عَنْ حَالِهِ.

(٣) السَّطْحُ: الْبَسْطُ، وَبَابُهُ مَنَعَ.

(٤) تَأَسَّدَ: صَارَ كَالْأَسَدِ.

(٥) الصَّوْلُ: السَّطْوُ وَالْإِسْطَالَةُ، وَبَابُهُ قَالَ، وَصَوْلَةٌ - أَيْضًا - .

(٦) النَّهْمُ: إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ فِي الطَّعَامِ، وَبَابُهُ فَرِحَ.

(٧) الرَّخِمُ - بَفَتْحَتَيْنِ - : طَائِرٌ أَبْقَعَ (أَيْ: فِيهِ سَوَادٌ وَبِيَاضٌ)، يُشْبِهُ النَّسْرَ فِي الْخِلْقَةِ، يَأْكُلُ الْعَدْرَةَ، وَهُوَ

مِنَ الْخَبَائِثِ، الْوَاحِدَةُ رَخِمَةٌ.

(٨) لَا يَلْوِي: لَا يُغْرَضُ.

(٩) رَاغَ: مَالٌ وَحَادٌ عَنِ الشَّيْءِ، وَبَابُهُ قَالَ، وَرَوَّغَانًا - أَيْضًا بَفَتْحَتَيْنِ - .

التَّغَلُّبِ، لَا يَمْرُجُ رَوْعَانَهُ ثَبَاتًا، وَلَا إِصْغَاءً إِلَى إِذْعَانٍ، وَلَا اسْتِجَابَةً إِلَى هَذَا الشَّانِ،  
فَهَذَا لَا يُدَخِّرُ عِنْدَهُ الْإِحْسَانَ؛ لِأَنَّهُ كَالْوَعَاءِ الْمُخْتَرِقِ، وَلَا يُرْجَى مِنْهُ الْخَيْرُ، فَاحْذَرُ  
مُعَاشِرَةَ أَمْثَالِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَخْطَارِ، وَمَجْمُوعُ هَذَا فِي كَلِمَةٍ: لَا تَعَاشِرْ مُتَلَوِّنًا<sup>(١)</sup>.  
وَوَصَفَ أَحَدُهُمْ صَاحِبًا لَهُ، فَقَالَ: «مَوَدَّتُهُ مُتَنَقِّلَةٌ كَتَنَقَّلَ الْأَفْيَاءُ<sup>(٢)</sup>»، وَأُخُوَّتُهُ مُتَلَوِّنَةٌ  
كَتَلَوْنِ الْحَرَبِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ نَاصِحٌ أُمٌّ عَلَى غَشٍّ يُدَاجِينِي<sup>(٤)</sup>؛  
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ، وَتَمْدُحُنِي فِي آخِرِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَأْتِينِي<sup>(٥)</sup>.

من مشكاة النبوة:

قال رسول الله - ﷺ - : «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا  
الْوَجْهَيْنِ: الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ، وَهَوْلًا بِوَجْهِهِ» .  
رواه البخاري (٧١٧٩)، ومسلم (٢٥٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .



(١) «الفنون» (١/٤١٤).

(٢) الأفياء: جمع فية، وهو الظل الذي بعد الزوال، سمي فية لرجوعه من جانب إلى جانب.

(٣) «محاضرات الأدباء» (٣/٤٠).

(٤) يُقال: داجاه: إذا داراه كأنه سائر العداوة.

(٥) «محاضرات الأدباء» (٣/٤٠).



## مِخْنَةُ الْكِرَامِ

إِنَّ الْمِرَّةَ لَا يَزَالُ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ مِخْنٍ  
لَا تَنْقُضِي إِلَى أَنْ يُوَارَى التُّرَى،  
وَأَعْظَمُهَا مِخْنَتُهُ بِأَهْلِ جَنْبِهِ،  
وَمَا أَحَدٌ يَفْعَلُ عَدُوًّا،  
وَلَا يَفْقَدُ حَاسِدًا.



فَمَا دَامَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ بِحَسَبِ قَدْرِ النَّعْمَةِ تَكْتُرُ الْأَعْدَاءُ وَالْحَسَدَةُ.  
كَمَا قَالَ الْبُخْتَرِيُّ:

وَلَنْ تَسْتَبِينَ - الدَّهْرَ - مَوْقِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ (١)  
وَمِنْ دُرِّ الْعَلَمَةِ ابْنِ خَزِيمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ عَدُوٌّ فَلَا خَيْرَ فِيكَ، وَلَا مَنْزِلَةَ  
أَسْقَطَ مِنْ مَنْزِلَةٍ مِنْ لَا عَدُوَّ لَهُ؛ فَلَيْسَتْ إِلَّا مَنْزِلَةٌ مَنْ لَيْسَ لِلَّهِ - تَعَالَى - عِنْدَهُ نِعْمَةٌ يُحْسَدُ  
عَلَيْهَا، عَافَانَا اللَّهُ» (٢).

قُلْتُ: لَا يَحْسُنُ قَرُشُ الْعَصَا لِلْعَدُوِّ قَبْلَ الْإِعْدَادِ، وَلَا قَدْحٌ (٣) زَنْدِهِ (٤) بِإِخْبَارِهِ بَعْدَ وَاتِكَ  
لَهُ، فَيُوقَدُ عَلَيْكَ نَارُهُ، وَلَا تَسْخِينُ صَدْرِهِ، فَيَقْلِبُ لَكَ ظَهَرَ الْمَجْنِّ (٥)، وَحَالُهُ: «خُذِ  
اللِّصَّ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَكَ».

فَإِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةٌ، وَالْعُمُرُ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَضِيعَ فِي تِلْكَ التَّوَافِهِ.  
لَوْ كُلُّ كَلْبٍ عَوَى أَلْقَمَتُهُ حَجْرًا لِأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِثْقَالًا بِدِينَارٍ

(١) انظر «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٠).

(٢) «الأخلاق والسير» (ص ١٧٨).

(٣) قَدْحُ الزَّنْدِ: إِيرَاؤُهُ وَإِخْرَاجُ نَارِهِ، وَبَابُهُ قَطَعَ.

(٤) الزَّنْدُ - بِالْفَتْحِ - : الْعُودُ الَّذِي يُقَدِّحُ بِهِ النَّارُ، وَالْجَمْعُ زَنَادٌ، وَأَزْنَدٌ، وَأَزْنَادٌ.

(٥) الْمَجْنُّ - بِالْكَسْرِ - : التُّرْسُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ حَامِلَهُ، وَالْجَمْعُ الْمَجَانُّ - بِالْفَتْحِ - .

وَقَوْلُهُمْ: قَلْبٌ لَهُ ظَهْرُ الْمَجْنِّ: كَلِمَةٌ تُضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ كَانَ لِصَاحِبِهِ عَلَى مَوْدَّةٍ أَوْ رِعَايَةٍ، ثُمَّ حَالَ عَنْ ذَلِكَ.



## الثقة بكل أحد عجز

إن الثقة بكل أحد نيس  
من الحزم، بل الحزم خجيب  
الثقة حتى تجد لها موضعا،  
وقل مثل ذلك في الاسترسال.



لا شك أن إطلاق الثقة بلا زمام ولا خطام ليس مروة ولا فضيلة، بل مهانة  
وضعفا، وكذلك الاسترسال.

يقول ابن حزم - رحمه الله -: «من امتحن بأن يخالط الناس، فلا يلتق بوجهه كله إلى من  
صحب، ولا يبين منه إلا على أنه عدو مناصب، ولا يصبح كل غداة إلا وهو مترقب  
من غدر إخوانه، وسوء معاملتهم، مثلما يترقب من العدو المكاشف، فإن سلم من  
ذلك، فله الحمد، وإن كانت الأخرى؛ ألقى<sup>(١)</sup> متأهبا، ولم يمت هما.

وأنا أعلمك أن بعض من خالصني المودة، وأصفاني إياها غاية الصفاء في حال  
الشدّة والرّخاء، والسّعة والضيق، والغضب والرّضى - تغير عليّ أقبح تغير بعد اثني  
عشر عاما متصلة في غاية الصفاء، لسبب لطيف جدا، ما قدرت - قط - أنه يؤثر مثله  
في أحد من الناس، ما صلح لي بعدها، ولقد أهمني ذلك سنين كثيرة هما شديدا»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: «من أعظم الغلط الثقة بالناس والاسترسال إلى الأصدقاء؛  
فإن أشدّ الأعداء وأكثرهم أذى الصديق المنقلب عدوا؛ لأنه قد اطلع على خفي السرّ.

(١) ألقى: وجد.

(٢) «الأخلاق والسّير» (ص ١١٦).

قال الشاعر:

اخْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً      واحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةً  
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ      فكان أَدْرَى بِالْمَضَرَّةِ

وقال آخر:

كُنْ مِنْ صَدِيقِكَ حَازِرًا فَلَرُبَّمَا      خَانَ الصَّدِيقُ فَصَارَ غَيْرَ صَدِيقٍ  
واحْذَرْ صَدِيقَكَ لَا عَدُوَّكَ إِنَّمَا      حَرَكَاتُ سِرِّكَ عِنْدَ كُلِّ صَدِيقٍ

وقال ابن ليون التجيبي:

قَلَّمَا يُوْذِيكَ مَنْ لَا يَعْرِفُكَ      فَتَحَفِّظُ مِنْ صَدِيقٍ يَأْلُفُكَ  
لَا تَثِقُ بِالْوُدِّ مِمَّنْ تَضْطَفِي      كَمِ صَدِيقٍ تَضْطَفِيهِ يُتْلَفُكَ

واعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْأَمْرِ الْمَوْضُوعِ فِي النُّفُوسِ الْحَسَدُ عَلَى النَّعْمِ، أَوْ الْغِبْطَةُ وَحُبُّ  
الرَّفْعَةِ، فَإِذَا رَأَى مَنْ يَعْتَقِدُكَ مِثْلًا لَهُ، وَقَدِ ارْتَقَيْتَ عَلَيْهِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَأَثَّرَ، وَرُبَّمَا حَسَدًا،  
فَإِنَّ أَخْوَةَ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ هَذَا الْجِنْسِ جَرَى لَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَبْقَى الْإِنْسَانُ بِلَا صَدِيقٍ؟ قُلْتُ لَكَ: أَتَرَكَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ الْمُجَانِسَ  
يَحْسُدُ، وَأَنَّ أَكْثَرَ الْعَوَامِّ يَعْتَقِدُونَ فِي الْعَالَمِ أَنَّهُ لَا يَبْتَسِمُ، وَلَا يَتَنَاوَلُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا  
شَيْئًا، فَإِذَا رَأَى بَعْضَ انْبِسَاطِهِ فِي الْمُبَاحِ، هَبَّطَ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَةَ الْعَوَامِّ،  
وَتِلْكَ حَالَةَ الْخَوَاصِّ، فَمَعَ مَنْ تَكُونُ الْمَعَاشِرَةُ؟!.

لَا بَلَّ وَاللَّهِ، مَا تَصِحُّ الْمَعَاشِرَةُ مَعَ النَّفْسِ؛ لِأَنَّهَا مُتَلَوِّنَةٌ، وَلَيْسَ إِلَّا الْمُدَارَاةُ لِلخَلْقِ،  
وَالاحْتِرَازُ مِنْهُمْ، وَاتِّخَاذُ الْمَعَارِفِ مِنْ غَيْرِ طَمَعٍ فِي صَدِيقٍ صَادِقٍ، فَإِنْ نَدَرَ فَلْيَكُنْ

غَيْرَ مُمَائِلٍ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ إِلَيْهِ أَسْبَقُ، وَلَيْكُنْ مُرْتَفِعًا عَنِ رُتْبَةِ الْعَوَامِّ، غَيْرَ طَامِعٍ فِي نَيْلِ مَقَامِكَ.

وإن كانت معاشره هذا لا تشفي؛ لأنّ المعاشره ينبغي أن تكون بين العلماء من مجانس، لزمهم من الإشارات في المخالطة ما تطيب به المجالسه، ولكن لا سبيل إلى الوصال<sup>(١)</sup>.  
وقال جعفر بن محمد: «إياك وسقطه<sup>(٢)</sup> الاسترسال؛ فإنها لا تستقال<sup>(٣)</sup>».

وقيل: «صن الاسترسال منك، حتى تجد له مستحقاً<sup>(٤)</sup>».

وقيل: «الإفراط في التواضع يوجب المذلة، والإفراط في المؤانسه يوجب المهانه<sup>(٥)</sup>».  
فتلك إشارات على الطريق، وما منّا من أحد إلا وقد جرت له محنة من صديق مُمائل، أو قريب مُشاكل.

ويعجبني ما ذكره الأخ وليد الرّيمي - حفظه الله - في هذا المعنى من شعر له:  
وكل الذي أدريه أن تجرعي فكم قد ظلمت من الأحيه دونما  
كئوس المرارة كان من أحابي ذنوب أقارفها وجاء متابي  
فكيف بمثلي لا يحاط بما بي؟! وقد قيل عني كل شرّ وهمه  
إلى أن يصير السوء بغض سراب سآكتم ما ألقاه ممن يسيء لي  
يريك مدى حبي، وبغض صحابي وبأرباب  
إذا سرت درب الواحد الوهاب (٦) على كل حال ليس شيء يهمني

(١) «صيند الخاطر» (ص ١٣٤ - ١٣٥).

(٢) السقطه - بالفتح - : العثره والزلة.

(٣) «محاضرات الأدباء» (٣/٣١).

(٤) المرجع السابق (٣/٣١).

(٥) المرجع السابق (١/٥٤٥).

ومن روائع البغاء البغاداي،

وَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَى يَسْرُكَ قَوْلُهُ      وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يَسْرُكَ فِعْلُهُ  
وَقَدْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ بَعْضَ مَذَاهِبِي      فَأَدْبَنِي هَذَا الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ

عَسَجَدُ،

قال أنتم بن صيفي،

«الانقباضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ، وَالْإِنْبِسَاطُ إِلَيْهِمْ مَجْلَبَةٌ لِقُرْنَاءِ  
السُّوءِ». «محاضرات الأدباء» (٣/٣١).



(٧) من قصيدة لأخينا وليد في مدح شيخنا ووالدنا مقبل الوداعي - رحمه الله -، انظرها في ترجمته (ص ٧٣١)، ومطلعها:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ خَطَّ كِتَابِي      وَأَحْمَدُ رَبِّي عِنْدَ كُلِّ جَوَابِ  
إِلَى مُقْبِلِ مَلِكِ الْحَدِيثِ وَشَيْخِهِ      سَلَامٌ عَلَيْكَ، ثُمَّ هَاكَ خِطَابِي  
أَيَا شَيْخِ خَيْرِ وَالْجَزِيرَةِ كُلِّهَا      لِأَجْلِكَ أُخْرِجُ مُنْتَهَى آدَابِي  
لِمَلِكِكَ أَطْرَبُ بِالنَّشِيدِ تَرْتُّبًا      وَأَنْسِجُ بِالْإِبْدَاعِ أَخْلَى ثِيَابِ  
فَعَلِمْتُكَ فِي الْوُدَيَانِ وَالْبَحْرِ وَاصِلٌ      كَذَاكَ فِي الصَّخْرَاءِ وَفَوْقَ هِضَابِ

## كُلْنَا ذُوهُ خَطْبًا

إِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ جُبِلُوا  
عَلَى الْخَطْبِ، وَقَدَّرْتَ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبَ - مَسَلَكَ عَزِيزًا،  
يَخْسَنُ بِكُلِّ أَحَدٍ سُلُوكَهُ، لِيَعْتَدِرَ النَّاسَ مِنْ  
أَنْفُسِهِمْ، وَيَلْتَمِسَ لَهُمُ الْمَعَاذِيرَ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَدِرُوا.



وَلتُنظُرْ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ كَيْفَ يَعْتَرِبُهُمْ مَا يَعْتَرِي غَيْرَهُمْ، فَتَجْرِي مِنْهُمْ الْهَفَوَاتُ  
الَّتِي لَا تُنَزَلُ مِنْ أَقْدَارِهِمْ؛ لِأَنَّ مُسْتَقَرَّهَا فِي بَحْرِ حَسَنَاتِهِمْ: فَهَذَا آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ظَلَّ  
إِبْلِيسُ يُغْرِيهِ وَيُمْنِيهِ، حَتَّى أَخْرَجَهُ وَزَوْجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ﴿فَدَلَّهُمَا بِرُؤُوسِهِ﴾ (الأعراف: ٢٢).  
وَمُوسَى الْكَلِيمُ يُلْقِي الْأَلْوَاحَ فِيهَا هُدًى وَرَحْمَةً، وَيَأْخُذُ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ  
﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

وَيُصَاحِبُ الْخَضِرَ عَلَى عَدَمِ الْمُخَالَفَةِ، ثُمَّ يُخَالِفُهُ مِرَارًا، حَتَّى قَالَ لَهُ:  
﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) ﴿(الكهف: ٧٦).  
ثُمَّ يَسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَتَعَقَّبُ بِقَوْلِهِ:

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: ٧٧).

وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُوَ - أَيْضًا - بَشَرٌ<sup>(١)</sup>، يَأْتِيهِ ذُو جَاهٍ وَأَعْمَى لَا جَاهَ لَهُ، فَيُقْبَلُ عَلَى  
الْأَوَّلِ، وَيُعْرِضُ عَنِ الثَّانِي، فَيُعَاتِبُهُ رَبُّهُ عِتَابًا لَطِيفًا بِقَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (عبس: ١).

(١) ذَلِكَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، يَقُولُ اللَّهُ - سُبحَانَهُ -: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (الكهف: ١١٠).  
وَرَوَى مُسْلِمٌ (٢٦٠٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضٌ كَمَا يَرْضَى  
الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ».

وَأَمَّا الصَّالِحُونَ فَلَنَنْظُرَ إِلَى جِيلِ الصَّحَابَةِ خَيْرَ الْقُرُونِ:  
- فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَالَ:

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (آل عمران: ١٥٢) (١).

- وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ مِنَ الْقِتَالِ، لَكِنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُمْ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا

وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥) (آل عمران: ١٥٥).

وَوَقَعَ بَعْضُهُمْ فِي يَمِينِ كَذِبٍ مِنْ أَجْلِ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا (٢).

حَتَّى أَفْضَلَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْبَشَرَ، فَهَا هُوَ يُغَاضِبُ الْأَضْيَافَ،

وَيَسُبُّ وَلَدَهُ؛ وَيَنَالُ مِنْهُ غَايَةَ النَّيْلِ لِتَقْصِيرِهِ فِي حَقِّ الْأَضْيَافِ (٣).

(١) مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَالَ مَا جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ (٤٠١٥)، وَمُسْلِمٍ (٢٩٦١)

مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، يَأْتِي بِجَزَيْتَيْهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ رَأَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ؟». قَالُوا: أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ، مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ».

(٢) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٢٧٨٠) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ ابْنِ بَدَاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِرِكَتِهِ، فَقَدُوا جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَخْلَفَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثُمَّ وَجَدَ الْجَامَ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتِغَاءَهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيِّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنَ أَوْلِيَاءِ السَّهْمِيِّ، فَحَلَفَا: لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا.

وَإِنَّ الْجَامَ لِصَاحِبِهِمْ. قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا شِدَّةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ (المائدة: ١٠٦).

(٣) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٦١٤٠، ٦١٤١) وَمُسْلِمٌ (٢٠٥٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فَقَرَاءَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ،



وَمَنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي حَقِّهِ: «مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ»<sup>(١)</sup>، وَلَا أَقَلَّتِ<sup>(٢)</sup> الْغُبَرَاءُ<sup>(٣)</sup> مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ<sup>(٤)</sup>.

- يَسِبُّ رَجُلًا، فَيَعِيرُهُ بِأُمَّهِ<sup>(٥)</sup>،<sup>(٦)</sup>

فَلْيَذْهَبْ بِثَلَاثَةِ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةَ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ. أَوْ كَمَا قَالَ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةِ، وَأَنْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - بِعَشْرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةِ، قَالَ: فَهَيَّوْا وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي - وَلَا أَدْرِي هَلْ قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَى عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ -، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنِّ أَضْيَافِكَ - أَوْ قَالَتْ: ضَيْفِكَ -؟. قَالَ: أَوْ مَا عَشَيْتِهِمْ؟. قَالَتْ: أَبَوَا حَتَّى تَجِيءَ، قَدَعَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَعَلَبُواهُمْ. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، وَقَالَ: يَا غُنْثُرُ، فَجَدَعٌ وَسَبٌّ، وَقَالَ: كُلُوا، لَا هَنِيئًا. وَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا. قَالَ: فَإِنَّمِ اللَّهُ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا. قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا، وَصَارَتْ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ، قَالَ لَامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟. قَالَتْ: لَا، وَقُوَّةٌ عَيْنِي، لَيْبِي الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَارٍ، قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي يَمِينَهُ -، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَأَضْبَحَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ عَقْدٍ، فَمَضَى الْأَجَلَ، فَعَرَفْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَاسٌ، اللَّهُ أَغْلَمَ كَمَّ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

(١) الْخَضِرَاءُ: السَّمَاءُ.

(٢) أَقَلَّتْ: رَفَعَتْ وَحَمَلَتْ.

(٣) الْغُبَرَاءُ: الْأَرْضُ.

(٤) (صحيح) أخرجه أحمد في «المُسند» (١٦٣/٢)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٨٠١) عَنِ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (٥٥٣٧).

(٥) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٦٠٥٠)، وَمُسْلِمٌ (١٦٦١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ

كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَانْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ -، فَقَالَ لِي: «أَسَابَيْتَ فَلَانًا؟».

قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «أَفَنِلْتَ مِنْ أُمَّهِ؟». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». قُلْتُ: عَلَى حِينِ

سَاعَتِي: هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ؟. قَالَ: «نَعَمْ».

(٦) انظر «فقه الأخلاق» للعدوي (ص ١١٢) وما بعدها.

والمقداد بن عمرو يأتيه الشيطان، فيغيره بشرب نصيب رسول الله - ﷺ - من اللبن<sup>(١)</sup>.

فأين نحن من هؤلاء؟!

قوم هم الأنف، والأذنان غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا؟

(١) روى مسلم (٢٠٥٥) عن المقداد قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسمعنا وأبصارنا من الجهد (أي: الجوع والمشقة)، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله - ﷺ -، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي - ﷺ -، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعز، فقال النبي - ﷺ -: «اختلفوا هذا اللبن بيننا». قال: فكنا نخالب، فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي - ﷺ - نصيبه. قال: فيجيء من الليل، فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليفظان. قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ذات ليلة، وقد شربت نصيبي، فقال: محمد يأتي الأنصار، فيتحفرونه، ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة؛ فأتيتها فشربتها، فلما أن وعلت في بطني، وعلمت أنه ليس إليها سبيل، قال: ندمني الشيطان، فقال: ويحك، ما صنعت؟، أشربت شراب محمد؟، فيجيء فلا يجده، فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك، وعلي شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدمائي، وجعل لا يجيئني النوم، وأنا صاحبائي فناما، ولم ينعما ما صنعت. قال: فجاء النبي - ﷺ -، فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه، فكشف عنه، فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء، فقالت: الآن يدعو علي فأهلك. فقال: «اللهم أطلع من أظعمني، وأسق من أسقاني». قال: فعمدت إلى الشملة، فشدتها علي، وأخذت الشفرة، فانطلقت إلى الأعز أيها أسمن، فأذبحها لرسول الله - ﷺ -، فإذا هي حافلة، وإذا هن حنفل كلهن، فعمدت إلى إناء لآل محمد - ﷺ - ما كانوا يطعمون أن يخلبوا فيه. قال: فخلبت فيه، حتى علته رغو، فجئت إلى رسول الله - ﷺ -، فقال: «أشربتكم شرابكم اللئيلة؟». قلت: يا رسول الله، اشرب. فشرب ثم ناولني، فقالت: يا رسول الله، اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي - ﷺ - قد روي، وأصبت دعوته، ضحكك حتى ألقيت إلى الأرض. قال: فقال النبي - ﷺ -: «إحدى سواتك يا مقداد». فقالت: يا رسول الله، كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا. فقال النبي - ﷺ -: «ما هذه إلا رحمة من الله، أفلا كنت أدنتني، فتوقظ صاحبينا، فيصيان منها». قال: فقالت: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبها، وأصبها معك من أصابها من الناس.

يا قَوْمِ، «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>، فَاَلْمُهَذَّبُ السَّالِمُ مِنَ الْخَطَا  
عَزِيزٌ مَعَ إِدْبَارِ الدُّنْيَا، وَمَعَ إِقْبَالِهَا، أَنْدَرُ مِنَ الْكِبْرِيَةِ الْأَحْمَرِ<sup>(٢)</sup>، وَهِيَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ  
وَالصَّالِحُونَ مَا سَلِمُوا مِنَ الْخَطَا، فَغَيْرُهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى.  
هُمُ النَّاسُ وَالْدُّنْيَا وَلَا بُدَّ مِنْ قَدَى<sup>(٣)</sup> يُلْمُ<sup>(٤)</sup> بَعَيْنٍ، أَوْ يَكْدَرُ مَشْرَبًا  
وَمِنْ قَلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنَّكَ تَبْتغِي أَلْ مُهَذَّبَ فِي الدُّنْيَا، وَلَسْتَ الْمُهَذَّبَا

جواهر،

قال ابن خزيمة - رحمه الله -:

«لَا يَخْلُو مَخْلُوقٌ مِنْ عَيْبٍ، فَالسَّعِيدُ مَنْ قَلَّتْ عَيْبُوهُ وَدَقَّتْ».

«الأخلاق والسير» (ص ١١٤).



- (١) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والتِّرْمِذِيُّ (١٩٢٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه -  
عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٥٢٢).  
(٢) سَارَ الْكِيمَاثِيُّونَ الْعَرَبُ فِي الْعَصْرِ الْوَسِيطِ عَلَى خُطَا أَرْسَطُو، فَهُمْ يُقَسَّمُونَ الْكِبْرِيَةَ إِلَى أَنْوَاعٍ  
ثَلَاثَةٍ: أَحْمَرَ، وَأَبْيَضَ، وَأَصْفَرَ.  
وَالْأَوَّلُ أَنْدَرُهَا؛ لِأَنَّهُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يُوجَدُ فِي مَنَاجِمٍ مِنْ أَرْضِ بَعِيدَةٍ، تَقَعُ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، قَرِيبًا مِنَ الْمُحِيطِ، أَوْ  
خَلْفَ التُّبَّتِ بِوَادِي النَّمْلِ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ نُدْرَتُهُ، وَمَضْرَبُ الْمَثَلِ بِهِ (د.مكي).  
(٣) الْقَدَى - بَزْنَةُ الْفَتَى -: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ فِي الشَّرَابِ مِنْ عُودٍ، وَتَرَابٍ، وَوَسَخٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، الْوَاحِدَةُ قَدَاةٌ.  
(٤) يُلْمُ: يَنْزِلُ.

## الفهرس

٨	التجرؤء فف موعاملة الخلق
١٠	بءاءة الانطلاق
١٢	رؤؤل المءبة
١٥	نسىم المءبة
١٧	إشراقة المءبة
١٩	أنوار المءبة
٢٢	اسنهال
٢٤	جمال الذوق
٢٧	السعر الحلال
٢٩	جرس القلوب
٣١	مشاعر الكلمة
٣٣	صفحة مفتوحة
٣٦	صنء القلوب
٣٨	استراحة القلوب
٤٠	السعر الظاهر

٤٢	.....	خُلَاصَةُ الزُّهُورِ
٤٦	.....	أَطْيَبُ الطَّيْبِ
٤٧	.....	ضَجِيجُ الْبَحْرِ
٤٩	.....	رَأْسُ الْحِكْمَةِ
٥٢	.....	فُضُولُ الْمَنْطِقِ
٥٥	.....	حُسْنُ الْخَلْقِ
٥٧	.....	حُسْنُ السَّمْتِ
٦٠	.....	حُسْنُ الْاِسْتِمَاعِ
٦٣	.....	جُنَّةٌ
٦٥	.....	خَفَضُ الْجَنَاحِ
٦٦	.....	أَسْسُ الْعَافِيَةِ
٦٨	.....	مُؤَانَسَةٌ
٧١	.....	سِيَّاسَةٌ
٧٤	.....	بَلَسَمٌ
٧٦	.....	تَعَاهَدُ مَا زَرَعْتَ
٧٩	.....	وَفَاءٌ
٨٢	.....	قُلُوبٌ مُؤْتَلِفَةٌ
٨٥	.....	مَصْنَعُ الْحُبِّ

٨٨	.....	إِنْصَافٌ
٩١	.....	عَفَّةٌ
٩٤	.....	لَذَّةٌ
٩٦	.....	إِقَالَةٌ
٩٩	.....	تَوْقِيرٌ
١٠١	.....	إِسْرَارٌ
١٠٣	.....	سِرٌّ
١٠٦	.....	إِبْرُ النَّحْلِ
١٠٩	.....	دِفْءُ الْمَشَاعِرِ
١١٢	.....	جَرْحُ الْمَشَاعِرِ
١١٥	.....	الْكَلْبُ الْمَعْلَمُ
١١٧	.....	اسْقِ أَرْضَكَ
١٢٠	.....	أَمَارَةُ النَّقْصِ
١٢٤	.....	بَابُ الرَّاحَةِ
١٢٧	.....	أَدَبٌ مَفْقُودٌ
١٢٩	.....	غُرْبَةٌ
١٣١	.....	سَبَّكَ مَنْ بَلَغَكَ السَّبَّاءُ
١٣٥	.....	أَجْنِ الْعَسَلِ، وَلَا تَكْسِرِ الْخَلِيَّةَ

١٣٧	تَجَمُّلٌ .....
١٣٩	رِيَاضُ الْمُتَحَائِنِ .....
١٤٢	لَا تُجَادِلْ .....
١٤٤	اخْذِرِ الْانْزِلَاقَ .....
١٤٦	مِحْنَةُ الْكِرَامِ .....
١٤٨	الثَّقَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ .....
١٥٢	كُلُّنَا ذَوُّو خَطَايَا .....



اعلم  
حليّة الناجح

تأليف  
د. محمد بن عبد الوهاب بن عبد البر

جفاف المشايخ

تأليف  
د. محمد بن عبد الوهاب بن عبد البر



فاهم  
مفاتيح  
القلوب



تسهيل  
البلغة



تأليف  
د. محمد بن عبد الوهاب بن عبد البر

دار الأمان  
للطباعة



فاهم  
مفاتيح  
القلوب

تأليف  
د. محمد بن عبد الوهاب بن عبد البر

تطلب إصداراتنا في اليمن من

مكتبة الإعمار الإسلامي

صنعاء - شارع الرياض - أمام الجامعة الوطنية

جوال: ٧٧٧٢٣٧٤٣٨ - ٧١١١٣٧٤٣٨

داركم المتميزة



٧٧٤٤٥  
دار الأمان  
للطباعة

١٩١٧ شارع جميل الجياط - مصطفى كامل - إسكندرية  
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ هـ ت: ٥٤١١٩٠ - ٥٢٢٢٠٢  
E-mail: dar\_aleman@hotmail.com

دار الأمان  
للطباعة والنشر والتوزيع